

محـور المعجـم العـربي

١ ـ نحـو معجـم حديـث ـ

الدكتور احمـد مطلـوب

٢ ـ المعجـم العـربي ـ مادته ومناهجـه ـ

الدكتور محمد ضاري حمادي

٣ ـ سمات المعجمات اللغوية العربية وخصائصها المنهجية ـ

الدكتور رشيد عبدالرحمن العبيدي

٤ ـ معجـم العلايـلي ـ منهجه ومادته ـ

الدكتور عبدالله الجبـوري

٥ ـ المعجم العربي القديم والمدونات الادبية ـ

الدكتور نعمة رحيم العزاوي

جمع وترتيب :

المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي


م. سرمد حاتم شكر

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

تسعى مجلة المجمع العلمي ابتداءً من هذا الجزء الى ان تخرج عما اعتادته منذ صدورها قبل خمسين عاما ، وذلك بأن تتبنى موضوعاً عاماً تركز عليه ليكون ملفا خاصا يركن اليه الباحثون والمفكرون ، ويكون لهم عونا في بحوثهم ودراساتهم العلمية .

لقد كانت ــ وما تزال ــ سلامة اللغة العربية والحفاظ عليها من أهم اهداف المجمع العلمي واهتماماته ، ولهذا كان من الطبيعي ان يعالج ملف هذا الجزء موضوع اللغة العربية الذي اعدته دائرة علوم اللغة العربية في المجمع وهو عن المعجم العربي الذي يتنادى اللغويون والعلماء الى الاهتمام به والدعوة الى اصدار معجم لغوي حديث يسد حاجات المعاصرين فيما يعترضهم من الشؤون العلمية والفكرية ، ويضم هذا الملف خمسة بحوث هي :

١ ــ نحو معجم حديث للدكتور احمد مطلوب .
٢ ــ المعجم العربي ــ مادته ومناهجه للدكتور محمد ضاري حمادي .
٣ ــ سمات المعجمات اللغوية العربية وخصائصها المنهجية للدكتور رشيد عبدالرحمن العبيدي .
٤ ــ معجم العلايلي ــ منهجه ومادته ــ للدكتور عبدالله الجبوري .
٥ ــ المعجم العربي القديم والمدونات الادبية للدكتور نعمة رحيم العزاوي .

هذا هو الملف الاول وستعقبه ملفات اخرى في موضوعات تقع ضمن اهتمامات المجمع العلمي في الآداب والعلوم والفنون ، فضلا عن التصدي للقضايا الساخنة والمستقبلية التي تواجه قطرنا المناضل وامتنا العربية المجيدة .

إن مجلة المجمع العلمي وهي تتخذ هذا النهج إنما تسعى الى التطور والاضافات الجديدة خدمة للمجتمع وعونا للباحثين والدارسين في المجالات المختلفة .

والله نسأل ان يوفق العاملين في سبيل الامة العربية المجيدة والوطن الغالي .

ا.د. ناجح الراوي
رئيس المجمع العلمي
رئيس هيئة تحرير المجلة

محـور المعجـم العـربي

١ ـ نحـو معجـم حديـث ـ
الدكتور احمـد مطلـوب

٢ ـ المعجـم العـربي ـ مادته ومناهجـه ـ
الدكتور محمد ضاري حمادي

٣ ـ سمات المعجمات اللغوية العربية وخصائصها المنهجية ـ
الدكتور رشيد عبدالرحمن العبيدي

٤ ـ معجـم العلايـلي ـ منهجه ومادته ـ
الدكتور عبدالله الجبـوري

٥ ـ المعجم العربي القديم والمدونات الادبية ـ
الدكتور نعمة رحيم العزاوي

نحـــو معجـــم حـــديث

الدكتور احمد مطلوب
عضو المجمع العلمي وأمينه العام

الملخـــص

يتعرض البحث بايجاز لواقع المعجم العربي ، ثم ينطلق الى رسم الخطوط العامة للمعجم الحديث الذي يلبي حاجات العصر • ويمثل هذا البحث رأيا خاصا تكوّن بمرور السنين والتعامل مع المعاجم ، وقد يوحي هذا المنهج بوضع معجم بعيد عن الغريب الذي يظل شاخصا في المعاجم القديمة التي يُرجع اليها عند البحث عنه ، ويبقى المعجم الحديث مرجعا لكل من تعنيه لغة الضاد من المعاصرين •

(١)

عُني العرب بلغتهم منذ عهد مبكر فوضعوا المعاجم اللغوية ، وكان معجم « العين » للخليل بن احمد الفراهيدي (ـ ١٧٥هـ) اول معجم عربي ، ثم توالى وضع المعاجم وتبارى العلماء في تأليفها ، وكان منها في القديم :

١ ـ التقفية في اللغة ـ ابو بشر اليمان بن أبي اليمان البندنيجي (ـ ٢٨٤هـ).
٢ ـ جمهرة اللغة ـ ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ـ ٣٢١هـ) .
٣ ـ البارع في اللغة ـ أبو علي اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (ـ ٣٥٦هـ) .
٤ ـ تهذيب اللغة ـ ابو منصور محمد بن ابراهيم الازهري (ـ ٣٧٠هـ) .
٥ ـ مختصر العين ـ ابو بكر الزبيدي الاشبيلي (ـ ٣٧٩هـ) .
٦ ـ المحيط في اللغة ـ الصاحب بن عباد (ـ ٣٨٥هـ) .
٧ ـ مجمل اللغة ـ احمد بن فارس (ـ ٣٩٥هـ) .
٨ ـ مقاييس اللغة ـ احمد بن فارس (ـ ٣٩٥هـ) .
٩ ـ تاج اللغة وصحاح العربية المشهور بالصحاح ـ ابو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري (ـ ٤٠٠هـ) .
١٠ـ المحكم والمحيط الاعظم في اللغة ـ ابو الحسن علي بن اسماعيل بن سيده (ـ ٤٥٨هـ) .
١١ـ اساس البلاغة ـ جار الله محمود بن عمر بن محمد بن احمد الزمخشري (ـ ٥٣٨هـ) .
١٢ـ الزاخر واللباب الفاخر ـ الحسن بن محمد الصغاني (ـ ٦٥٠هـ) .
١٣ـ مختار الصحاح ـ محمد بن ابي بكر الرازي (ـ ٦٦٦هـ) .

١٤ـ لسان العرب ـ ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري الانصاري الخزرجي (ـ ٧١١هـ) •
١٥ـ غوامض الصحاح ـ صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي (ـ ٧٦٤هـ) •
١٦ ـ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ـ احمد بن محمد الفيومي (ـ ٧٧٠هـ) •
١٨ـ القاموس المحيط ـ ابو طاهر محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزابادي (ـ ٨١٦ أو ٨١٧) •
١٨ـ تاج العروس من جواهر القاموس ـ محب الدين ابو الفيض محمد مرتضى الحسيني الزّبيدي (ـ ١٢٠٥هـ) •

هذه أشهر المعاجم العربية القديمة فضلا عن الرسائل اللغوية مثل كتب الغريبين (غريب القرآن وغريب الحديث) وكتب اللغات مثل لغة القرآن ولغة القبائل ، وكتب الحيوان ، وكتب النوادر ، وكتب البلدان والمواضع ، وكتب الإفراد والتثنية والجمع ، وكتب الابنية ، وكتب الصفات ، وغيرها مما تحدث عنه الدكتور حسين نصار في كتابه « المعجم العربي ـ نشأته وتطوره » •

واشتدت العناية بالمعجم العربي في العصر الحديث منذ القرن التاسع عشر للميلاد فأصدر بطرس البستاني الجزء الاول من معجمه « محيط المحيط » سنة ١٨٦٦م ، واصدر في سنة ١٨٦٩م معجم « قطر المحيط » • واصدر سعيد الخوري الشرتوني معجم « أقرب الموارد الى فصح العربية والشوارد » سنة ١٨٨٩م ، واخرج لويس المعلوف « المنجد » سنة ١٩٠٨م • ووضع عبدالله البستاني معجمين : « البستان » و « فاكهة البستان » واصدرهما سنة ١٩٣٠م•

وهذه المعاجم امتداد للمعاجم العربية القديمة ، وقد حاول جبران مسعود ان يجدد في ترتيب المواد اللغوية فأصدر سنة ١٩٦٤م معجمه « الرائد » الذي رتب كلماته بحسب تسلسل حروفها متبعا المعاجم الاجنبية ، وذلك لتسهل عملية استخراج الكلمات •• وهذا النهج جيد للمراحل الدراسية الاولى ولكنه

يحرم المثقف واللغوي من روح اللغة وترابط ألفاظها والوقوف على ما يتصل بالمادة اللغوية الواحدة ومشتقاتها ، وتجعل الاسماء والافعال والظروف تتناثر ، وتجعل الرباعي يبتعد عن الثلاثي ، والمزيد عن المجرد ، وليس هذا من طبيعة اللغة العربية التي تتسم موادها بالوحدة والترابط ويجمعها نظام الاسرة الواحدة ، لانها اشتقاقية وليست إلصاقية • ونحا هذا المنحى الجيلاني بن الحاج يحيى وعلي بن هادية وبلحسن البليش في معجمهم « القاموس الجديد للطلاب » الذي صدر سنة ١٩٧٩م في تونس ، وهو معجم نافع للشادين في اللغة غير انه كالرائد يقطع الصلة بين المعاجم القديمة والحديثة ، ويفكك المادة اللغوية المعتمدة على الاشتقاق •

وهناك محاولات كثيرة في هذا الميدان ، وهي تسعى الى وضع معجم حديث ، ومنها :

١ ــ المعجم لعبدالله العلايلي الذي صدر قسم منه بطبعته الاولى سنة ١٩٥٤م •
٢ ــ المرجع لعبدالله العلايلي الذي صدر مجلد منه سنة ١٩٦٣م •
٣ ــ متن اللغة لاحمد رضا الذي صدر في خمسة مجلدات سنة ١٩٥٨ •
٤ ــ المعجم الوسيط الذي أخرجه مجمع اللغة العربية في القاهرة سنة ١٩٦٠م ، وأعيد طبعه مرتين بعد ذلك •
٥ ــ المعجم العربي الاساسي الذي اصدرته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم سنة ١٩٨٨م •

هذه أشهر المعاجم المتداولة في الوقت الحاضر ، وهي موجزة تجمع بين القديم والحديث ، وتتحاشى ذكر الغريب الحُوشِيّ الذي لا يستعمل الان •

(٢)

هذا بعض ما كان في القديم والحديث من العناية بالمعجم ، ولكن المعجم العربي لايزال يستشرف آفاقا جديدة ؛ لان الحاجة عظيمة في هذه الايام الى معجم لغوي يتميز بالسهولة ومواكبة العصر ، وقد سدّ « المعجم الوسيط » فراغا كبيرا ، ولكنه لايزال دون الطموح لما فيه من نقص في الالفاظ ، وإدخال بعض الالفاظ العامية المحلية ، وليس وضع معجم احدث منه بالامر الصعب ، فهناك المختصون باللغة والعلوم ، وهناك السبل المشرعة للعمل وما في اللغة العربية من وسائل نموها كالمجاز ، والاشتقاق ، والقياس ، والتوليد ، والتعريب (عند الضرورة القصوى) . وهذه وسائل تتسع لاستيعاب المستجدات ، وهي ـ بلا ريب ـ قادرة على ان تمد المعجم الحديث بمادة لغوية واسعة تستجيب لمتطلبات الحياة ، وتؤدي ما يعبر به المعاصرون عن معانٍ وأفكار .

لقد اخذ القدماء بهذه الوسائل واستعانوا بها واتخذوها وسيلة من وسائل إغناء المعجم الى جانب ما سُمع عن العرب ، وجمعه الرواة واللغويون. وكان المتأخرون يأخذون من المتقدمين وينقلون عنهم ، ولكنهم لم يضيفوا كثيرا الى مَنْ تقدمهم ، ولم ينتفعوا بما طرأ على اللغة العربية من تطور في دلالة الالفاظ وتنوع في التعبير ، ولعل الزمخشري كان اكثرهم استجابة لذلك ، فذكر في معجمه «أساس البلاغة» المعاني المجازية بعد المعاني اللغوية ، وكان يقول بعد ان ينتهي من المعنى اللغوي : « ومن المجاز » ثم يذكر بعض الاستعمالات المجازية للفظة ، ومن ذلك قوله : « أ ب ر : شاةمأبورة أكلت الإبرة في علفها ... ومن المجاز : إبرة القَرْن لطرفه ، قال ابن الرّقاع :

تُزْجي أغَنّ كأنّ إبرةَ رَوْقِهِ   قلَمٌ أصابَ من الدّواةِ مِدادَها

وإبرة المِرْفَق لطرفه ، وإبرة العقرب والنحلة لشوكتها ، وتقول : « لابدَّ مع الرطب من سُلاَّء النخل ، ومع العسل من إبر النحل » • وقد أبَرَتْه العقرب بمئبرها والجمع : مآبر • ومنه • «إنه لذو مآبر في الناس» كماقالوا: « دبّت بينهم العقارب » اذا مشت بينهم النمائم • وقال النابغة :

وذلك من قولٍ أتاكَ أقوله ومن دَسٍّ أعداءٍ اليك المآبرا

فالزمخشري لم يقف عند المعنى اللغوي وحده ، وإنما توسع واضاف المجازات ودلالاتها ، مقترنة بالنثر الفصيح والشعر البليغ ، وبذلك كان من اكثر القدماء تحررا ، اذ انتفع بما نقل عن العرب ، وما طالعه في بطون الكتب ، ومتون الدفاتر من روائع ألفاظ ، وجوامع كلم ، وتخيّر ما وقع في عبارات المبدعين ، وانطوى تحت استعمالات المفلقين ، او ما جاوز وقوعه فيها وانطواؤه تحتها من التراكيب التي تملح وتحسن لجريها على الالسنة والاقلام •

فالزمخشري قد توسع في عمله وخاض في بطون الكتب ، وهذا النهج يفضي الى حرية واسعة للمعاصرين ليخوضوا ويستخرجوا ما في بطون الكتب القديمة والحديثة ، واخذ ما صحّ ، وإدخاله في المعجم الحديث ليكون نابضا بالحياة ، وليظل مسايرا للغة لا قيدا يمنعها من النمو والازدهار • ولابدّ للمسموع من أنْ يجد سبيله الى المعجم اذا صدر عن العلماء والادباء المعروفين بسعة علمهم وإشراقة معرفتهم ، وسلامة ذوقهم ، المعتدّين بلغتهم ، والحريصين على سلامتها من الانحراف ودعوات التغريب •

إن المعجم الحديث ينبغي ان يستوعب الالفاظ الجديدة لا الالفاظ التي تنحدر باللغة وتبعدها عن مسيرتها الطبيعية ، وان يأخذ من الادب قديمه وحديثه وكتب التاريخ والجغرافية والفقه والرحلات وسواها ، ويستعين بوسائل نمو اللغة ولا يقتصر على النقل من المعاجم القديمة ، وإنما يتوسع ويدخل ألفاظ المعاصرين البلغاء ، وأساليب المبدعين • وقد خطا واضعو

« القاموس الجديد للطلاب » الذي صدر في تونس سنة ١٩٧٩م خطوة في هذا السبيل فاستشهدوا بشعر مَنْ لم يُسْتَشْهَدْ بشعرهم كالمتنبي والمعري وابي فراس وابن زيدون . ولم يقفوا عند هؤلاء وإنما استشهدوا بشعر المحدثين كأحمد شوقي ، وحافظ ابراهيم ، والرصافي ، والعقاد ، والشابي ، ومحمد الفائز القيرواني ، ومصطفى خريف ، لان هؤلاء لم يخرجوا عن اللغة السليمة واصولها ، وكانوا في شعرهم من المبدعين .

ويجب ان يؤخذ بما وضعته المجامع العربية في هذا العصر ، فقد كان لها دور كبير في إغناء اللغة العربية بما اصدرت من معاجم لغوية وحضارية وعلمية ، كما يجب ان يؤخذ بما وضعه العلماء والباحثون ووجد سبيله الى الحياة الادبية والثقافية والعلمية ، لان هذين الرافدين من اهم ما يمد اللغة ويطورها لما فيهما من عطاء وقدرة على الوضع والاخذ باسباب العلم الحديث والذوق السليم ، ولاسيما الفاظ الحضارة التي اكتنفت المعاصرين من كل جانب وكادوا يعجزون عن التعبير عن الحياة الجديدة لولا المجامع اللغوية والعلمية ، وفضلاء القوم من المخلصين للغتهم الرفيعة وحضارة امتهم المعطاء .

(٣)

فالمعجم الذي يرتبط بالحياة المعاصرة ينبغي ان يأخذ بوسائل نمو اللغة ، ويستعين بما بذل من جهد في القديم والحديث ، ولعل اهم ما يوسع مادته ويرفده بالجديد :

١ ــ الرسائل اللغوية وكتب اللغات والحيوان والنبات والنوادر والابنية وغيرهما مما اشار اليه الدكتور حسين نصار في كتابه « المعجم العربي ــ نشأته وتطوره » .

٢ ـ المعاجم وقد ضمت مفردات اللغة ومعانيها وكثيرا من الابنية ودلالاتها ، وهي على الرغم مما تشترك فيه فان بعضها يتميز عن بعض في امور ، وسيجد المعاصرون فيها مادة وقيمة تكون اساسا لمعاجمهم • وقد يكون نافعا اتخاذ معجم مبسوط اساسا ، وتجرد مواده ، وترتب ترتيبا دقيقا بعد حذف المكرر وادخال ما لم يرد فيه • ويظل العمل متواصلا والمراجعة مستمرة حتى يتيقن المؤلف او المؤلفون من ان المادة اللغوية استوفت مفرداتها، وانها ضمت كل ما يتصل بها من صيغ ذكرتها المعاجم والموارد الاخرى •

٣ ـ التراث ويضم ما تركه العرب من كتب فقهية ، وادبية ، وعلمية ، وتأريخية ، وجغرافية وفلسفية ، وغيرها ، لان فيها مادة لم تذكرها المعاجم ، ويدخل في ذلك الادب قديمه وحديثه • وقد قام (رينهارت دوزي) بمراجعة التراث العربي وألف معجمه « تكملة المعاجم العربية » وفيه كثير من الالفاظ التي لم تذكرها المعاجم ؛ لان معظم واضعيها وقفوا عند عهد الاستشهاد اللغوي ، ولم يلتفتوا الى ما بعد ذلك إلا قليلا • وفعل مثل دوزي (الاب انستاس ماري الكرملي) في معجمه « المساعد » الذي ضمّ كثيرا مما لم تذكره المعاجم • وتمكن الاستفادة من هذين المعجمين بعد حذف الالفاظ العامية او الدخيلة ، وتدقيق ما جاء من الفصيح منها خشية التصحيف والتحريف •

وتتبعت (الدكتورة طيبة صالح الشذر) « الفاظ الحياة الثقافية في مؤلفات ابي حيان التوحيدي » ونشرت كتابا ضخما بهذا العنوان درست فيه الالفاظ الثقافية وما كانت تدل عليه في عصر ابي حيان التوحيدي •

واتجه (الدكتور نعمة رحيم العزاوي) الى كتب ابي حيان واستخلص منها مادة لغوية طريفة نشرها بعنوان « من معجم ابي حيان التوحيدي » وذلك بعد ان رأى ان أبا حيان تصرف في بعض المفردات واستعملها على غير الوجه الذي عهدت فيه ، وانه جاء بمفردات نادرة او طريفة قلَّ أن يُظفر بها عند

غيره من الادباء ، ونحو ذلك مما تعرض له الدكتور العـزاوي من اسـتعمال التوحيدي للالفاظ .

٤ ـ السماع من البلغاء والادباء الكبار ، لان ما بلغوه من العلم والحرص على اللغة يجيز الاخذ عنهم ، كما كان القدماء يأخذون من العرب الفصحـاء والبلغـاء .

٥ ـ المجامع اللغوية العربية وجهدها في المعجم كبير ، إذ اسـتطاعت ان تضع او تدقق وتصحح كثيرا من الالفاظ التي وجد بعضها سبيله في معجـم « متن اللغة » و « المعجم الوسيط » و « المعجم الكبير » و « المعجم العربـي الاساسى » وغيرها .

(٤)

إن المعجم الحديث هو ما كان صورة للواقع كما كانت المعاجم القديمـة تعبيرا عن واقع الاقدمين ، ولعل من اهم سمات المعجم المنشود :

١ ـ أنْ يخلو من الالفاظ الحوشية والمهجورة او الدالة على اشـياء اندرست ، ولم تبقَ لها في الحياة معالم واضحة ، لان موضعها المعجم التاريخي والمعاجم القديمة التي تظل مرجعا مهما الى جانب المعجم الحديث إذ فيهـا الالفاظ الغريبة والمهجورة مما لا يستسيغه ذوق العصر . فأي نفع في ألفـاظ غريبة تدخل في معجم حديث مثل : الحيزبـون ، والدردبيس ، والطخـا ، والنقاخ ، والعلطبيس ، والعقنقل ، والقدموس مما ذكره صفي الدين الحلـي وهو يدعو الى تجنب هذه الالفاظ الوحشية حين يقول :

إنما الحيزبونُ والدَّرْدَبيسُ   والطَّخا والنُّقاخُ والعَلْطَبيسُ

لغةٌ تَنْفِرُ المسامعُ منها   حين تُرْوَى وتَشْمئِزُّ النفوسُ

أينَ قولي : هذا كَثيبٌ قديمٌ   ومقالي عَقَنْقَلٌ قَدموسُ

لقد جعل الحسُّ الحضريُّ صفيَّ الدين ينفرُ من هذه الالفاظ لانها لا تمثل عصره وذوقه ، وكان علي بن عبدالعزيز الجرجاني قد نبّه الى ذلك منذ القرن الرابع للهجرة وتحدث عن اثر التحضر في اللغة والشعر ، وذكر في مطلع كتابه « الوساطة بين المتنبي وخصومه » ان الناس اختاروا بعد تحضرهم من الكلام ألينه واسهله ، وعمدوا الى كل شيء ذي اسماء كثيرة فاختاروا أحسنها سمعا وألطفها من القلب موقعا ، ومن ذلك لفظة « الطويل » التي اقتصروا عليها بعد ان وجدوا العرب فيها اكثر من ستين لفظة اكثرها بشع شنع ، كالعَشَنَّط ، والعَنَطْنَط ، والعَشَنَّق ، والجَسْرَب ، والشَّوْقَب ، والسَّلْهَب ، والشَّوْذب ، والطاط ، والطوط ، والقاق ، والقوق ، فنبذوا جميع ذلك وتركوه ، واكتفوا بلفظة « الطويل » لخفتها على اللسان ، وقلة نبوّ السمع عنها •

هذا ما كان من القدماء وهم قريبو العهد بالالفاظ الحوشية الغريبة ، فكيف حال الذين جاءوا بعدهم بأكثر من الف عام ؟

٢ ــ أنْ يخلو من الالفاظ الاجنبية إلا ما اصبح ضرورة او جاء في المعاجم والكتب القديمة وظل حضوره ماثلا في هذا العصر ، وللغة العربية قدرة عجيبة على وضع ألفاظ عربية للالفاظ الاجنبية ، وقد شهدت حركة الترجمة في العصر العباسي تحولا في اللغة ، فبعد ان كانت الترجمات الاولى تحفل بالالفاظ الدخيلة او المُعَرَّبة ، اصبحت الترجمات بعد ذلك تنهل من روح العربية ، وتضع مصطلحات والفاظا عربية بدل الاجنبية • وحدث مثل

هذا في العصر الحديث إذ كانت كتب مطلع القرن العشرين وصحافته تحفل بكثير من الالفاظ الاجنبية ، ولكن الحال تغير بعد ان انتشرت الثقافة ، وساد الوعي القومي ، واصبحت المؤلفات والصحف تنأى عن المُعَرَّب والدخيل ما استطاعت الى ذلك سبيلا .

ولكن — على الرغم من ذلك فان بعض المعاجم ماتزال تحفل بالالفاظ الاجنبية وكان من المؤمل ان يجنب مجمع اللغة العربية في القاهرة معجميه « المعجم الوسيط » و « المعجم الكبير » من الالفاظ الاجنبية ، وقد احسن «المعجم الوسيط» صنعا حينما حذف بعض الكلمات الاجنبية في طبعته الثالثة.

٣ — أنْ يخلو من الالفاظ العامية وإن كان اصلها عربيا لما فيها من تغيير في ترتيب الحروف ، او إضافة حروف اخرى ، أو تغير في دلالتها مما يوقع في الوهم ، وينأى باللفظ عن الفصيح .

٤ — أنْ يخلو من المصطلحات العلمية الدقيقة ؛ لان موضعها معاجم المصطلحات العلمية التي اصدرت المجامع العربية والمؤسسات العلمية مئات منها ، ويكتفى بالمصطلحات العامة التي تحدد علما من العلوم ، او ما شاع في وسائل الاعلام ، وتداولته الاقلام ، ولهجت به الالسن في مجالات الحياة المختلفة وميدان الثقافة العام .

٥ — أنْ يخلو من الاعلام ؛ لان موضعها معاجم التراجم والاعلام ، وقد اسرف الفيروزابادي في ذكر الاعلام ، ولا تكاد مادة لغوية تخلو من ذكر اسم شاعر او عالم او محدِّث ، ويبدو ذلك من الاسطر الاولى للمعجم ففي « أتأ » وهي المادة الثانية — جاء : « أتَأَةُ : كَحَمْزَةَ : امرأة من بكر بن وائل أم قيس بن ضرار ، وجبل » .

٦ — أنْ يخلو من اسماء المدن والاماكن ؛ لان موضعها كتب البلدان ، او دوائر المعارف ، والموسوعات المتخصصة بعلم الجغرافية والبلدان .

هذه بعض سمات المعجم الحديث ، فضلا عن انه يجب أنْ يضم الالفاظ الحضارية الحديثة ، وهو مما يَعْنِي المعاصرين ويهمهم في معرفة اسباب الحضارة ودلالة الالفاظ عليها ، وقد صدرت بعض معاجم الالفاظ الحضارية ومنها « معجم الحضارة » لمحمود تيمور الذي صدر سنة ١٩٦١م ، و « معجم ألفاظ الحضارة ومصطلحات الفنون » الذي اصدره مجمع اللغة العربية في القاهرة ، و « ألفاظ حضارية » الذي اصدره المجمع العلمي ببغداد سنة ١٩٩٨م • وتعدّ هذه المعاجم وغيرها نواة لما سيدخل في المعجم الحديث من الالفاظ الحضارية التي تهم الناس في هذه الايام •

(٥)

هذه بعض سمات المعجم الحديث ، اما ترتيبه فينبغي أنْ يرتب على المادة الثلاثية مثل ترتيب « أساس البلاغة » للزمخشري والمعاجم الحديثة كمعجم « متن اللغة » و « المعجم الوسيط » • أي البدء بأول المادة فوسطها فآخرها ، وهو ما اخذت به بعض المعاجم القديمة والحديثة ، اما ترتيبه على حروف الكلمة كلها ــ وهذا ــ ما اتبعه جبران مسعود في « الرائد » فانه يفقد خصائص اللغة العربية المعتمدة على الاشتقاق ، ويفرق عناصر المادة الواحدة في عدة مواضع ، فكلمة « اتَّشَحَ » ذكرها في حرف الالف وقال : « اتشح اتشاحا (وشح) لبس الوِشاح » ولم يفسر « الوشاح » في هذا الموضع وانما فسره في حرف الواو ، قال « الوِشاح : ١ــ شبه قلادة من نسيج او جلد عريض يُرَصَّع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقها وكَشحَيها ج : وُشُح وأوشِحة ووشائح • ٢ــ السيف • ٣ــ القوس » •

وفعل مثله اصحاب « القاموس الجديد للطلاب » فذكروا الفعل « اتّشح » في حرف الالف وقالوا : « اتّشح يتشح اتّشِحْ اتشاحا ، الرجلُ : لبس الوشاح » • ثم فسروا « الوشاح » في حرف الواو وقالوا :

« الوِشاح : هو نسيج عريض يُرَصَّع بالجوهر وتشده المرأة بين عاتقيها وكَشْحيها ـ نسيج من حرير مزركش الالوان يشده رؤساء البلديات بين عاتقهم وكشحهم في الاحتفالات الرسمية ـ القوس ، ج : وُشُح وأوشحة ووشائح » .

لقد مزّق المعجمان المادة اللغوية وفرّقَ مفرداتها في حين ان المعاجم الاخرى ذكرت جميع ما يتصل بالمادة ومنها « المعجم الوسيط » الذي ذكرها في حرف الواو ، وذكر ما يتصل بها وجاء بالفعل « وشَّح » و « اتشحت » و «توشحت » و « التوشيح » و « الموشح » و « الوشاح » و « الوشحاء ».
فالمعجم الوسيط جمع كل ما يتصل بالمادة في موضع واحد ، وفي ذلك فائدة عظيمة إذ تعرض المادة كلها مما يزيد في ثروة القارىء اللغوية ويجعله يربط بين الالفاظ التي يجمعها ـ في الغالب ـ معنى واحد ، ويقف على تحولها وهي متسقة في نهج واضح ، كما في « المعجم الوسيط » إذ قدمت اللجنة التي وضعته الافعال على الاسماء ، والمجرد على المزيد من الافعال ، والمعنى الحسي على المعنى العقلي ، والحقيقي على المجازي ، والفعل اللازم على الفعل المتعدي ، ورتبت الفعل الثلاثي على ابوابه الستة ، والفعل الثلاثي المزيد بحرف على « أ فعل » و « فاعل » و « فَعَّلَ » والثلاثي المزيد بحرفين « افتعل » و « انفعل » و « تفاعل » و « تفعَّل » و « أفْعَلّ » ، والثلاثي المزيد بثلاثة احرف على « استفعل » و « افعوْعَل » و « افعالّ » و « افعوَّل » ، والرباعي المزيد بحرف على « تَفَعْلَل » . وأما ما أُلحق بالرباعي من أوزان فقد ذُكر منها ما رأت اللجنة اثباته مع الاحالة عليه في موضعه من الترتيب الحرفي للمواد ، فالكلمة « كَوْثَر » ـ مثلا ـ ذُكرت في «كَثر» موضَّحا معناها ، وفي «كوثر» محالة على مادة «كثر» . وفُصِل مضعف الرباعي عن مادة الثلاثي ، وذُكر في موضعه من الترتيب الحرفي ، فكلمة « زلزل » كتبت في مادة « زلزل » ،

و « زَلَّ » كتبت في « زلل » . وهناك كلمات صُدِّرت بالتاء المبدلة من الواو إبدالا دائما مثل « التؤدة » و « تَجِه » و « تقى » و « اتقى » و « تخم » و « التراث » ، وقد جعلتها اللجنة مع اصلها في باب الواو . وراعت في رسم مثل « أئتب » اذا وقعت في مبدأ الكلام أنْ تثبت الهمزتان : همزة الوصل المرسومة الفا ، وهمزة فاء الكلمة المرسومة ياءً ، وإنْ كانت قواعد الصرف تقضي بابدال الهمزة الثانية ياءً في البدء بالفعل فيقال : « ايتب » .

لقد جمع « المعجم الوسيط » بهذا المنهج بين الاخذ بأصول الكلمة وذكرها بحروفها ، والاحالة على الاصل ، وبذلك سَهُلَ استعماله وكان اكثر فائدة للمراجعين الذين لا يعرفون اصل الكلمة . كما جمع في مكان واحد كل ما يتصل بالمادة اللغوية إلا ما كان قياسيا كاسم الفاعل واسم المفعول ونحوهما ، وذكر ما استجد من الفاظ عَبَّرت عن روح العصر ، فهو في مادة « اثر » ـ مثلا ـ يذكر كلمة « الآثار » ويقول : « علم الآثار مصطلح معناه معرفة القديم ، او علم الوثائق القديمة » وكلمة « الاثير » ودلالتها في الفيزياء والكيمياء ، ويذكر معنى « الايثارية » عند علماء الاخلاق وعلماء النفس ، ومعنى « التأثرية » في النقد الادبي . وبذلك كان هذا المعجم معبرا عن روح العصر الحديث . وهو يعد اهم مرجع حديث في اللغة ؛ لانه ذكر كثيرا من الالفاظ الجديدة ويَسَّرَ المعاني ، وشرحها شرحا واضحا . وهذا المعجم خير اساس للمعجم اللغوي الحديث اذا ما جُرِّدَ من الاعلام والبلدان والمصطلحات العلمية الدقيقة ، واضيفت اليه الالفاظ الجديدة مما اقرته المجامع وقبلته اللغة العربية طبيعة وذوقا .

(٦)

وتأتي بعد ذلك العناية بشرح المعنى وايضاحه في مقدمة ما يُعْنَى به المعجم الحديث ، ولذلك ينبغي :

١ – أنْ يكون الشرح واضحا ليس فيه لَبْس أو إبهام ، وألاّ تُستعمل الاضداد في الشروح ، لانها كثيرا ما تكون غير مفهومة او مضللة او بعيدة عن المدارك والاذهان .

٢ – أنْ تحدد المعاني بدقة فلا يقال عن نوع من النبت : إنه نبات او نوع من الحيوان انه حيوان ، او يقال : إنه معروف ، كما فعل بعض اصحاب المعاجم القديمة وإنما يحدد ويوصف ليكون قريبا الى الفهم واضحا . فكلمة « الرَّشاد » – مثلا – لم يشرحها الفيروزآبادي وإنما ذكر حبه وقال : « وحَبّ الرشاد : الحُرْف ، سَمَّوه به تفاؤلا ، لان الحُرْف معناه الحرمان » في حين أنّ « المعجم الوسيط » قال : « الرشاد بقلة سنوية من الفصيلة الصليبية ، تُزرع وتنبت بَرِّيَّة ، ولها حبٌ حِرّيف يُسَمَّى حبّ الرشاد » . وقال الفيروزآبادي : « الزِّمّير : كسِكّيت : نوع من السمك » ، وقال « المعجم الوسيط » : « سمكة جسمها ممدود شديد الانضغاط من الجانبين ، مقدمها طويل احدب ، وجسمها املس لا تغطيه القشور ، بل توجد على جانبيها صفائح عظمية او قشرية ، ولها زعنفة ظهرية بها ثلاث شوكات قوية ، وهي تعيش في انهار شمالي أوربة وبالقرب من مصابّها . وطير صغير الجسم مضغوط مغطى بريش ناعم ذي لونين رمادي ووردي يأوي الى المناطق الجرداء او فوق الجبال ويستوطن مصر ، وبلاد النوبة ، وبلاد العرب » .

٣ – أنْ ترتب معاني المادة الواحدة وينتقل فيها من المعاني الحسية الى المعاني الذهنية ، ومن الحقيقة الى المجاز الذي يُؤتى به في آخر المعاني لانه دلالة متأخرة للكلمة ، وذلك ما فعله الزمخشري في معجمه « أساس البلاغة » إذ كان يبدأ بالمعنى اللغوي العام ، ثم ينقل الى المجاز .

ولن يكون المعجم العربي الحديث دقيقا مالم تقم به المجامع العربية أو المؤسسات العلمية ، لان تركه للجهد الفردي قد يضيف أخطاء ، ويوقع في خلل ، ويشيع الفوضى

ويحدث تباينا بين قطر عربي وآخر ، وفي ذلك عَوْدٌ على بَدْء ، وكأنَّ جهود المجامع والعاملين في سبيل اللغة العربية لم تثمر ابدا . وكان مجمع اللغة العربية في القاهرة قد كلف لجنة من العلماء لوضع « المعجم الوسيط » و « المعجم الكبير » كما كلفت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لجنة من العلماء لوضع « المعجم العربي الاساسي » ، وهذا هو السبيل القويم في مثل هذا العمل الذي ينوء به الفرد إن لم يجد له معينا .

(٧)

وصفوة القول :

إنَّ المعجم اللغوي المنشود هو ما جمع المألوف المأنوس ، وضَمَّ الجديد المدروس وكان دقيقا في منهجه ، واضحا في شرحه . والمعجم الوسيط خير منطلق إذا ما جُرِّدَ من العامي والاعلام والدخيل ، وحُذفت المصطلحات العلمية الدقيقة . وما يُعنى به المختصون ومجمع اللغة العربية في القاهرة اولى بتنقيحه وتجديده ، لانه خرج من بين اقلام علمائه ، ويفضل ان يضاف الى اللجنة علماء من المجامع العربية الاخرى ليكون العمل جهدا مشتركا بين الاقطار العربية . وقد يتبنىَّ اتحاد المجامع العلمية واللغوية العربية إخراج معجم حديث ينتفع به اهل القرن الحادي والعشرين ، ويكون منطلقا الى المستقبل حيث تتعقد سبل الحياة ، وتتنوع فنون الحضارة ، وتكثر اسباب العلم ، وتتغير نظرة الناس واذواقهم ، وتتعدد حاجاتهم ، وهم يستشرفون المستقبل ويبنون الجديد بثقة وإيمان .

المعجـم العـربي
مادتـه ومناهجـه

أ.د. محمد ضاري حمادي
عضو المجمع العلمي
جامعة بغداد ــ كلية الآداب

الملخـص

يتناول البحث مادة المعجم العربي ، الفصيحة والمولدة ، وتفاوت المعاجم العربية في القدر الذي تحويه من تلك المادة ، كما يتناول المعجم العربي العام ، وغايته إدخال المادة المعجمية العربية عامة ، والمعجم العربي الخاص ، وغايته إدخال قسم معين من المادة المعجمية العربية .

ويعرض البحث الطرائق المختلفة المعتمدة في ترتيب المادة المعجمية في المعجم العربي ، في معاجم المعاني ومعاجم الالفاظ . وإذْ تنوعت الطرائق في معاجم الالفاظ باتساع ، فقد سعى هذا البحث الى تحليلها باهتمام شديد ، خالصا الى تصنيفها بمقتضى أسسها التي قامت عليها ، وكاشفا عما تدلّ عليه من براعة وتدقيق .

عني علماء العربية ، عبر تاريخ دراساتهم اللغوية ، بالمعجم العربي عنـاية فائقة . وقد ترك اولئك العلماء ثروة من المعاجم العربية غاية في الاتسـاع ؛ حتى إن باحثا في العصر الحديث ، هو أحمد الشرقاوي إقبال ، عكف ربـع قرن في تتبع تلك المعاجم وإحصائها ، مقتصرا في ذلك على المعاجم العربيـة التراثية ، فكان من ذلك كتاب دعاه « معجم المعاجم » نشره سـنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م ، وعرّف فيه بنحو الف ونصف ألف من تلك المعاجم التراثية[١] ، قائلا: « إني أُنهي الى علم القارىء أني قصرت هذه الفهرسة على المعاجم التراثية ، دون سواها مما مسّته الحداثة بأثر قليل او كثير »[٢] . فاذا نظرنا نحـو المعاجم العربية الحديثة وجدناها ثروة معجمية اخرى تضم الى تلك الثـروة المعجمية التراثية . وكان باحث آخر هو وجدي رزق غالي قد تتبع المطبـوع فقط من المعاجم العربية ، سواء أكان المعجم قديما ام حديثا ، وذلك في كتابه « المعجمات العربية » الذي نشره سنة ١٣٩١هـ/١٩٧١م .[٣]

إنّ مادة المعجم العربي تبدأ ، تاريخيا ، من عصر ما قبل الاسلام وهـي تمتد حتى العصر الحديث ، ومن ثم فهي تشمل :

---

(١) حدد المؤلف عدد تلك المعاجم بقوله : « وفذلكة كل ذلك وحاصله الـف كتاب ، واربعمائة كتاب ، وسبعة كتب » [معجم المعاجم : احمد الشرقاوي إقبال ــ ط (١) بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م : الصفحة «ح» من المقدمـة] .

(٢) معجم المعاجم : الصفحة «ك» من المقدمة .

(٣) حدد المؤلف المعاجم العربية التي اقتصر عليها الكتاب بانه قد ترك المخطوط منها ، كما ترك المعاجم التي نشرت في الدوريات ، والمعاجم التي الحقـت بنهايات الكتب . [المعجمات العربية : وجدي رزق غالي : القاهـــرة ١٣٩١هـ/١٩٧١م : ص (٨)] .

اولا ـ المادة اللغوية الفصيحة : وهي التي وردت من عصور الفصاحة ، وأمكنتها ، على ما بيّنه علماء العربية الاولون . اما العصور فتبدأ من عصر ما قبل الاسلام ، وتمتد في الحواضر الى منتصف القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) ، وفي البوادي حتى القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)[٤] . واما الامكنة فهي التي تتمثل في مواطن الفصاحة التي كانت فيها القبائل العربية التي رحل اليها علماء العربية وفي مقدمتها قريش ، وقيس ، وتميم ، وأسد ، وغيرها ..[٥]

ثانيا ـ المادة اللغوية المولّدة : وهي التي ظهرت بعد المادة اللغوية الفصيحة ، والتي كان توليدها خاضعا لمناهج العربية وأقيستها في التوليد ؛ سواء أكان ذلك على صعيد التوليد اللفظي ام على صعيد التوليد الدّلالي .[٦]
وتتفاوت المعاجم العربية في القدر الذي تحويه من المادة المعجمية ؛ وذلك بمقتضى الغاية التي من اجلها صنع المعجميُ معجمه ، وفي هذا ظهر اتجاهان :

اولا ـ الاتجاه العام : وهو ما اتخذته المعاجم العربية التي تروم إدخال المادة المعجمية العربية عامة . ومن تلك المعاجم :[٧]

---

(٤) ينظر في ازمنة الفصاحة :
- الخصائص : ابن جني : تحـ : محمد علي النجار . القاهرة : ١٣٧١هـ ـ ١٣٧٦هـ/١٩٥٢ـ١٩٥٦م : ٥/٢ .
- خزانة الادب : البغدادي : تحـ : عبدالسلام محمد هارون . القاهرة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م : ٨/١ .

(٥) ينظر في أمكنة الفصاحة : المزهر : السيوطي : تحـ : محمد احمد جاد المولى وآخرين . مصر (د.ت) : ٢١١/١ .

(٦) ينظر : الباب الثاني من : حركة التصحيح اللغوي في العصر الحديث : د. محمد ضاري حمادي . نشر وزارة الثقافة والاعلام العراقية ـ ١٩٨٠م

(٧) المعاجم المذكورة مشهورة وهي مطبوعة متداولة .

١ ــ تهذيب اللغة : الأزهري (٣٧٠هـ / ٩٨٠م) •
٢ ــ المحكم والمحيط الاعظم : ابن سيده (٤٥٨هـ / ١٠٦٦م) •
٣ ــ لسان العرب : ابن منظور (٧١١هـ / ١٣١١م) •
٤ ــ القاموس المحيط : الفيروزأبادي (٨١٧هـ / ١٤١٤م) •
٥ ــ تاج العروس : الزّبيدي (١٢٠٥هـ / ١٧٩١م) •
٦ ــ محيط المحيط : البستاني (١٣٠١هـ/١٨٨٣م) •
٧ ــ أقرب الموارد : الشّرتوني (١٣٣٠هـ / ١٩١٢م) •
٨ ــ المنجد : اليسوعي (١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م) •
٩ ــ المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية بالقاهرة •
١٠ــ المعجم الكبير : مجمع اللغة العربية بالقاهرة •

إنّ هناك معجما عربيا ، في هذا الاتجاه العام ، يتفرد بمكانة خاصة في تاريخ المعجم العربي ، مادة ومنهجا ؛ اذ ابتغى ذلك المعجم ان يحصر كلمات اللغة العربية حصرا تاما بمقتضى منهج رياضي محكم غير مسبوق • ذلك هو معجم « العين » للخليل بن احمد الفراهيدي (١٧٥هـ / ٧٩٢م) ، العبقري ، الفذ ، المعروف بعقله المبدع ، وما ابتكره من طرائق الحصر الرياضي ، كالذي فعله في العروض ، وفي الموسيقى ، ثم في معجم « العين » هذا •

ثانيا ــ الاتجاه الخاص : وهو ما اتخذته المعاجم العربية التي تروم إدخال قسم معيّن من المادة المعجمية العربية • فهذه المعاجم موزعة على مجموعات ؛ كل مجموعة منها تخص ميدانا معينا ، ومن ذلك :(٨)

١ ــ معاجم في القرآن الكريم منها :

معجم ألفاظ القرآن الكريم : مجمع اللغة العربية بالقاهرة •

٢ ــ معاجم في الحديث الشريف منها :

النهاية في غريب الحديث والاثر : ابن الاثير (٦٠٦هـ / ١٢١٠م) •

(٨) المعاجم المذكورة مشهورة وهي مطبوعة متداولة .

٣ ــ معاجم في الفقه منها :

المصباح المنير : الفيّومي (٧٧٠هـ / ١٦٣٨م) .

٤ ــ معاجم في الاشتقاق منها :

معجم مقاييس اللغة : احمد بن فارس (٣٩٥هـ / ١٠٠٤م) .

٥ ــ معاجم في الترادف منها :

نجعة الرائد : اليازجي (١٣٢٤هـ/١٩٠٦م) .

٦ ــ معاجم في الافعال منها :

الافعال : ابن القوطية (٣٦٧هـ / ٩٧٧م) .

٧ ــ معاجم في اسماء البلدان والمواضع منها :

معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع:البكري (٤٨٧هـ/١٠٩٤م).

٨ ــ معاجم في المصطلحات منها :

كشاف اصطلاحات الفنون : التهانوي (١١٥٨هـ/١٧٤٥م).

٩ ــ معاجم في اللحن منها :

معجم الاغلاط اللغوية المعاصرة : العدناني (١٤٠١هـ / ١٩٨١م) .

١٠ــ معاجم في المعرّب منها :

المعرّب : الجواليقي (٥٤٠هـ/١١٤٥م) .

إنّ مساحة واسعة من هذا الاتجاه الخاص تشغلها معاجم المصطلحات العربية في مختلف العلوم والفنون والآداب ؛ تلك المعاجم التي ظهرت في العربية قديما ، واتسعت في العصر الحديث . وقد وصف وجدي رزق غالي قدرا واسعا منها في قسم خصّصه بها من كتابه « المعجمات العربية » الذي مرّ في هذا البحث ، وهو القسم الثالث منه ، والموسوم بهذا العنوان : « المعجمات العربية المتخصصة » .

تلك طبيعة المادة المعجمية التي يضمها المعجم العربي وهي مادة متنوعة من حيث ماهو فصيح وماهو مولّد ، ومن حيث كون المعجم عاما ، وكونه خاصا .

ولقد اعتمد اصحاب المعاجم العربية طرائق مختلفة في ترتيب تلك المادة المعجمية ، بما يحقق للناظر في المعجم الوصول الى المادة اللغوية التي يروم الوقوف عليها في ذلك المعجم . وفي هذا الميدان تنقسم المعاجم العربية على قسمين اساسيين ، هما :

القسم الاول : معاجم المعاني

وهي المعاجم التي تعتمد المعنى اساسا ، ثم تجمع ما يخصه من الالفاظ في موضع واحد . فاذا كان في ذهن مستعمل المعجم معنى معين ، واراد معرفة ما يخص ذلك المعنى من الالفاظ ، فانه ــ والحالة هذه ــ يلجأ الى هذا القسم من المعاجم .

إنّ أول من ينسب اليه تأليف في هذا النوع عالم من اهل القرن الثاني الهجري / القرن الثامن الميلادي ؛ هو ابو خيرة الاعرابي ، في كتابه الموسوم بـ « الصفات »[٩] . ومن المؤلفات في هذا اللون من المعجم العربي :[١٠]

١ ــ الغريب المصنّف : المسعودي (١٧٥هـ / ٧٩٢م) .
٢ ــ الغريب المصنّف : القاسم بن سلاّم (٢٢٤هـ/٨٣٩م) .
٣ ــ كتاب الالفاظ : ابن السّكيّت (٢٤٤هـ / ٨٥٨م) .
٤ ــ جواهر الالفاظ : قدامة بن جعفر (٣٣٧هـ / ٩٤٨م) .

---

(٩) ينظر : المعجم العربي نشأته وتطوره : د. حسين نصار ــ ط (٢)القاهرة ١٩٦٨م : ص (٢٠٦) . وتنظر ترجمة ابي خيرة الاعرابي في : إنباه الرواة على انباه النحاة : القفطي . تحـ : محمد ابو الفضل ابراهيم . القاهرة ١٩٥٠ــ١٩٧٣م : ٤/١١١ــ١١٢ والمصادر الاخرى في هامش ص (١١١).

(١٠) المعاجم المذكورة معظمها مشهور مطبوع متداول . اما غير المطبوع فثلاثة : الغريب المصنف للمسعودي ، والغريب المصنف للقاسم بن سلام ، والعالم في اللغة لاحمد بن أبان الاشبيلي . ينظر عن هذه الكتب :معجم المعاجم : ص (١٤١ــ١٤٣) ، ص (١٥١) .

٥ ـ العالم في اللغة : أحمد بن أبان الاشبيلي (٣٨٢هـ/٩٩٢م) ٠
٦ ـ متخير الالفاظ : احمد بن فارس (٣٩٥هـ / ١٠٠٤م) ٠
٧ ـ التلخيص في معرفة اسماء الاشياء : العسكري (بعد ٣٩٥هـ / ١٠٠٤م) ٠
٨ ـ فقه اللغة وسر العربية : الثعالبي (٤٢٩هـ / ١٠٣٨م) ٠
٩ ـ المخصّص : ابن سيده (٤٥٨هـ / ١٠٦٦م) ٠
١٠ـ نظام الغريب : الربّعي (٤٨٠هـ / ١٠٨٧م) ٠

و « المخصّص » لابن سيده ، في هذا اللون من المعجم العربي ، هو اضخم المعاجم ، واوعبها للمادة المعجمية ٠ قال فيه الدكتور حسين نصار : « ورأى النصف الاول من القرن الخامس [الحادي عشر الميلادي] الكتاب الذي توّج هذا النوع من الكتب ، وسما به الى القمة ؛ اذ ألّف علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده (٤٥٨هـ) موسوعته « المخصّص » في ١٧ سفرا كبيرا »(١١) ٠ ووصفه وجدي رزق غالي بقوله : « اضخم المعاجم العربية للمعاني ؛ اذ يحوي كتاب الغريب المصنّف لابي عبيد القاسم بن سلام ، والكتب التي ظهرت معه او بعده ، ولم يطلع عليها ابو عبيد ٠ رتب ترتيبا موضوعيا في ابواب عدّتها ١٧ بابا ، يسميها كتبا ، ويتعلق كل كتاب بموضوع، له تقسيماته الفرعية ٠ وهو بهذا يبدأ في موضوعاته بالاعم فالاخص ، ويعطي في كل قسم ألفاظ موضوعه ومسمياته »(١٢) ٠

القسم الثاني : معاجم الالفاظ

وهي المعاجم التي تعتمد اللفظ اساسا ، ثم تجمع ما يخصّه من المعاني في موضع واحد ٠ فاذا كان في ذهن مستعمل المعجم لفظ معين ، واراد معرفة ما يخص ذلك اللفظ من المعاني ، فانه ـ والحالة هذه ـ يلجأ الى هذا القسم من المعاجم ٠

---

(١١) المعجم العربي (نصار) : ص (٢١١) .
(١٢) المعجمات العربية : ص (٥٢) .

لقد اتبّعت معاجم الالفاظ في العربية طرائق متنوعة في ترتيب موادّها اللغوية ، وتقوم تلك الطرائق على اسس تتعامل معها تلك المعاجم تعاملا متنوعا . وهذه الاسس هي :

١ ـ كيفية ترتيب الحروف .
٢ ـ تعيين الحروف الاصلية .
٣ ـ أبنية الالفاظ .
٤ ـ تقليب الالفاظ .

إنّ هناك ترتيبين لحروف العربية ، اعتمدتهما معاجم الالفاظ فيها،وهذان الترتيبان هما :

اولا ـ الترتيب الهجائي (الألفبائي)[١٣] : ويعود هذا الترتيب الى القرن الهجري الاول (السابع الميلادي) ، ومبتكره هو نصر بن عاصم الليثي (٨٩هـ/٧٠٧م) ؛ اذ رتّب الحروف على هذا النحو ، (وهو الترتيب المشهور) :

أ ـ ب ـ ت ـ ث ـ ج ـ ح ـ خ ـ د ـ ذ ـ ر ـ ز ـ س ـ ش ـ ص ـ ض ـ ط ـ ظ ـ ع ـ غ ـ ف ـ ق ـ ك ـ ل ـ م ـ ن ـ هـ ـ و ـ ي .

ثانيا ـ الترتيب الصوتي[١٤] : ويعود هذا الترتيب الى القرن الهجري الثاني

---

(١٣) ينظر : المعجم العربي بين الماضي والحاضر : د. عدنان الخطيب . معهد البحوث والدراسات العربية ـ ١٩٦٦/١٩٦٧ : ص (١٩) ، ص (٢٢ ـ فما بعدها) . وتنظر ترجمة الليثي في : إنباه الرواة : ٣/٣٤٣ـ٣٤٤ . والمصادر الاخرى في هوامش الصفحتين المذكورتين .
(١٤) ينظر : العين : الخليل بن احمد الفراهيدي . تحـ : د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي . نشر وزارة الثقافة والاعلام العراقية ـ ١٩٨٠م : ٤٨/١ .

(الثامن الميلادي) ، ومبتكره هو الخليل بن احمد الفراهيدي (١٧٥هـ/٧٩٢) ؛ اذ رتّب الحروف على النحو الآتي :

ع ـ ح ـ هـ ـ خ ـ غ ـ ق ـ ك ـ ج ـ ش ـ ض ـ ص ـ
س ـ ز ـ ط ـ د ـ ت ـ ظ ـ ذ ـ ث ـ ر ـ ل ـ ن ـ ف ـ
ب ـ م ـ و ـ ا ـ ي ـ ء .

ولئن كان ترتيب الليثي قائما على التنسيق بين صور الحروف المكتوبة ، لقد كان ترتيب الفراهيدي قائما على اساس آخر ، هو الاساس الصوتي . فقد رُتّبت الحروف فيه بحسب ترتيب المخارج الصوتية في جهاز النّطق، ابتداءً من الحلق وانتهاءً بالشفتين .

إنّ معاجم الالفاظ في العربية اعتمدت الترتيبين ، الهجائي والصوتي ؛ فمنها السائرة على هذا ، ومنها السائرة على ذاك . وفيما يأتي مناهج تلك المعاجم :

اولا ـ معاجم الترتيب الصوتي :

سارت هذه المعاجم على الترتيب الصوتي ، المذكور آنفا ، والذي ابتكره الخليل في معجمه « العين » . واشهر هذه المعاجم :

١ ـ العين : الفراهيدي (١٧٥هـ / ٧٩٢هـ) .
٢ ـ البارع في اللغة : القالي (٣٥٦هـ / ٩٦٧م) .
٣ ـ تهذيب اللغة : الازهري (٣٧٠هـ / ٩٨٠م) .
٤ ـ مختصر العين : الزبيدي (٣٧٩هـ / ٩٨٩م) .
٥ ـ المحيط : الصاحب (٣٨٥هـ / ٩٩٥م) .
٦ ـ المحكم والمحيط الاعظم : ابن سيده (٤٥٨هـ / ١٠٦٦م) .

على ان القالي في معجمه « البارع » قد رتّب الحروف على هذا النحو :(15)

ء ـ هـ ـ ع ـ ح ـ خ ـ غ ـ ق ـ ك ـ ض ـ ج ـ ش ـ ل ـ
ر ـ ن ـ ط ـ د ـ ت ـ ص ـ ز ـ س ـ ظ ـ ذ ـ ث ـ ف ـ
ب ـ م ـ و ـ ا ـ ي •

لقد قسّم الخليل ، ومن بعده معاجم هذه المدرسة ، المعجم بحسب الحروف ، ثم وزع ألفاظ الحرف الواحد بحسب الابنية ابتداءً من الثنائي وانتهاءً بالخماسي • واعتمد الحرف الاصلي ؛ وهذا يقتضي حذف الزائد من الحروف في الكلمة ، وإعادة المحذوف اذا كان حرفا اصليا ، وإعادة الحرف الى اصله اذا كان منقلبا عن غيره • وكانت غاية الخليل في معجمه « العين » حصر كلمات العربية (على ما مضت الاشارة اليه في هذا البحث) ومن هنا اتجه الى التقليب ، فالبناء الثنائي يأتي بصورتين ، والثلاثي بست ، والرباعي بأربع وعشرين ، والخماسي بعشرين ومائة • وهكذا اتبعت معاجم هذه المدرسة الخليل في السير على فكرة التقليب ، بل سار عليها معجم « جمهرة اللغة » لابن دريد (٣٢١هـ/٩٣٣م) وهو من غير معاجم هذه المدرسة •(16)

وعلى ما تقدم نجد أنّ المعجم ، في هذه المدرسة ، مقسم على الحروف، وأنّ الحرف مقسّم على الابنية ، وأنّ الالفاظ التي يضمها البناء الواحد هي المؤلفة من الحروف الاصلية التي اولها هو الحرف الذي يعود البناء اليه • اما ترتيب تلك الالفاظ تحت البناء الواحد فقد اقامه الخليل ، ومن بعده معاجم هذه المدرسة ، على اساس معاملة الحرف مع ما يليه • فلو نظرنا ـ مثلا ـ

---

(١٥) ينظر : البارع في اللغة : ابو علي القالي . تحـ : هاشم الطعان . بيروت ـ ١٩٧٥م : ص (٧١) من المقدمة .

(١٦) ، (١٧) : مطبوع متداول .

في حرف « الجيم » من معجم الخليل لرأيناه مقسما بحسب الابنية واولها هو الثنائي . ففي هذا البناء نجد الجيم هو الحرف الاول اما الثاني فهو الحرف الذي يلي الجيم في الترتيب الصوتي ، وهو الشين ؛ فاذا انتهى من تأليف الجيم مع الشين (جش) وذكر المقلوب (شج) انتقل الى تأليف الجيم مع الحرف الذي يلي الشين وهو الضاد ... وهكذا حتى نهاية الحروف في الترتيب الصوتي . اما الحروف الفائتة اي التي سبقت الجيم (وهي : ع ــ ح ــ هـ ــ خ ــ غ ــ ق ــ ك) فلا حاجة تدعو الى معاملة الجيم معها ؛ لان تلك المعاملة قد وقعت سابقا ، بمقتضى فكرة التقليب ، حين عومل العين مع الجيم ، فاقتضى القلب معاملة الجيم مع العين ،... وهكذا الحروف البواقي . وعلى هذا المنهج سارت معاجم المدرسة الصوتية .

ثانيا ــ معاجم الترتيب الهجائي :

سارت هذه المعاجم على الترتيب الهجائي (الألفبائي) ، المذكور فيما تقدم ، والذي ابتكره نصر بن عاصم الليثي . وقد اشتهر اعتماد هذا الترتيب في المعاجم العربية ، بصور مختلفة ؛ وذلك لصعوبة الترتيب الصوتي ، وما بني عليه من مسالك الكشف عن اللفظ ، يقابل ذلك سهولة الترتيب الهجائي في الكشف عن اللفظ المراد .

ولقد تنوعت طرائق اعتماد الترتيب الهجائي في المعاجم العربية على النحو الاتي :

١ ــ ترتيب الالفاظ بحسب الحرف الاول من دون النظر الى بقية الحروف . ويمثل هذا الترتيب ابو عمرو الشيباني (٢٠٦هـ/٨٢١م) في معجمه « الجيم » .[١٧]

٢ ــ ترتيب الالفاظ بحسب الحرف الاول ، ثم اعتماد هذا الترتيب بالنظر الى بقية الحروف : الثاني والثالث ... الخ . ويمثل هذا الترتيب محمد بن

تميم البرمكي (من علماء القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي) في معجمه « المنتهي في اللغة » .[18] وقد اخذت بهذا الترتيب معاجم مشهورة قديمة منها :[19]

اساس البلاغة للزمخشري (٥٣٨هـ/١١٤٤م) ، والمصباح المنير للفيومي (٧٧٠هـ/١٣٦٨م) . كما شاع هذا الترتيب في العصر الحديث ، واخذت به المعاجم العربية الحديثة منها : محيط المحيط للبستاني (١٣٠١هـ/١٨٨٣م) واقرب الموارد للشرتوني (١٣٣٠هـ/١٩١٢) ، والمنجد لليسوعي (١٣٦٥هـ/١٩٤٦م) والمعجمان : الوسيط ، والكبير لمجمع اللغة العربية بالقاهرة .

٣ ـ ترتيب الالفاظ بحسب الحرف الاول ، ثم معاملة الحرف الاول مع ما يليه (بحسب الترتيب الهجائي) . وسبق في هذا البحث ان طريقة الحرف وما يليه قد ظهرت اول مرة في معجم « العين » للخليل (بحسب الترتيب الصوتي) . على ان هناك فرقا بين الحالتين يتمثل في ان الخليل لا يعود الى الحروف الفائتة ـ على ما تقدم بيانه ـ وذلك بسبب اخذه بالتقليب، اما في الحالة الهجائية التي نحن بصددها فان التقليب غير معتمد ، وعليه لابد من العودة الى الحروف الفائتة ابتداءً من اولها وهو « الهمزة » . ويمثل هذه الطريقة احمد بن فارس (٣٩٥هـ/١٠٠٤م في معجميه[20] : « مقاييس اللغة » و « مجمل اللغة » .

٤ ـ تقسيم المعجم بحسب الابنية (الثنائي ـ الثلاثي ـ الرباعي ـ الخماسي)، ثم ترتيب الالفاظ داخل البناء الواحد ترتيبا هجائيا بحسب الحرف الاول

---

(١٨) ينظر : معجم المعاجم : ص (٢٤٥ـ٢٤٦) .

(١٩) ، (٢٠) ، (٢١) : المعاجم المذكورة مشهورة ، وهي مطبوعة متداولة ، عدا « مجمل اللغة » فقد طبع منه الجزء الاول فقط .

ثم معاملة الحرف الاول مع ما يليه ، والاخذ بالتقليب ؛ مما يغني عن العودة الى الحروف الفائتة • ومن الواضح هنا أن هذه الطريقة تختلف عن طريقة الخليل في « العين » ، كما تختلف عن طريقة احمد بن فارس في « مقاييس اللغة » و « مجمل اللغة » • فهي تختلف عن « العين » في انها تعتمد الترتيب الهجائي ، اما « العين » فيعتمد الترتيب الصوتي • وتختلف عن « المقاييس » و « المجمل » في انها تأخذ بالتقليب ، اما هما فلا يأخذان به ، مما حداهما على العودة الى الحروف الفائتة ، في حين لا حاجة الى تلك العودة في هذه الطريقة التي نحن بصددها • كما انها تختلف عن منهج الخليل وابن فارس في انها تقيم المعجم على اساس الابنية ، اما « العين » و « المقاييس » و « المجمل » فقد اقيمت على اساس الحروف • ويمثل هذه الطريقة ابن دريد (٣٢١هـ/٩٣٣م) في معجمه « جمهرة اللغة » •

إنّ المعاجم التي تمثّلها الفقرات الاربع المذكورة آنفا قد التزمت الترتيب الهجائي بالنظر الى الحرف الاول من اللفظ ، ثم تنوع الترتيب ، من بعد ، على النحو الذي مرّ في تلك الفقرات • بيد ان هناك معاجم اخرى التزمت الترتيب الهجائي بالنظر الى الحرف الاخير من اللفظ (فحرف الهمزة ـ مثلا ـ يضم الالفاظ المختومة بالهمزة) • وتسمى هذه الطريقة « التقفية » ، او « القافية » ؛ على ما هو مبين في الفقرات الثلاث الاتية :

١ ـ ترتيب الالفاظ بحسب الحرف الاخير ، من دون النظر الى الحرف الاول وترتيبه • ويمثل هذه الطريقة البندنيجي (٢٨٤هـ/٨٩٧م) في معجمه : « التقفية من اللغة »(٢١) وهو معجم وصل الينا في هذا العصر • وقد نقل صاحب « معجم المعاجم » عن كتاب « الفهرست » لابن النديم (٣٨٥هـ/٩٩٥م) ان لابن قتيبة (٢٧٦هـ/٨٨٩م) كتاب « التقفية » ،

وصفه ابن النديم بقوله : « وهو اكبر من كتاب البندنيجي ، واحسن من كتابه » ، مبينا انه قد اطلع على ثلاثة اجزاء منه .[٢٢]

٢ ــ تقسيم المعجم على الابنية ، ثم ترتيب الالفاظ داخل البناء الواحد بحسب الحرف الاخير ، ثم ترتيب تلك الالفاظ التي تخص ذلك الحرف الاخير بحسب الحرف الاول . ويمثل هذه الطريقة الفارابي (٣٥٠هـ/٩٦١م) في معجمه : « ديوان الادب »[٢٣] .

٣ ــ ترتيب الالفاظ بحسب الحرف الاخير ، وتسميته « بابا » ثم ترتيب تلك الالفاظ التي تخص ذلك الحرف الاخير بحسب الحرف الاول ، وتسميته « فصلا » . ويمثل هذه الطريقة الجوهري (٣٩٣هـ/١٠٠٣م) في معجمه: « تاج اللغة وصحاح العربية » المعروف باسم « صحاح الجوهري »[٢٤]. وقد اخذت بهذا الترتيب معاجم مشهورة قديمة ، منها :[٢٥] « لسان العرب » لابن منظور (٧١١هـ/١٣١١م) و « القاموس المحيط » للفيروزأبادي (٨١٧ هـ / ١٤١٤م) وشرحه : «تاج العروس» للزّبيدي (١٢٠٥هـ/١٧٩١م) .

إنّ الترتيب التقفوي في « ديوان الادب » للفارابي هو ما اتبعه الجوهري في « صحاحه » على ما يتضح مما مرّ آنفا ، وفي هذا يقول الدكتور حسين نصار : « وذلك النظام نفسه هو الذي اتبعه الجوهري ، ابن اخت الفارابي ، في « صحاحه » ، واشتهر بأنه مبتكره وهي غلطة شائعة يجب تصحيحها »[٢٦].

واذا نظر الباحث الى معاجم الترتيب الهجائي المبيّنة طرائقها في الفقرات السبع الواردة فيما تقدم (الفقرات الاربع ثم الفقرات الثلاث) وجد انها

---

(٢٢) معجم المعاجم : ص (٣٢٣) .
(٢٣) ، (٢٤) ، (٢٥) : المعاجم المذكورة مشهورة ، وهي مطبوعة متداولة .
(٢٦) المعجم العربي (نصار) : ص (١٩٨) .

تختلف من حيث الاخذ بالابنية • ذلك ان منها مالم يتعامل مع الابنية اصلا • وهذا ما يخص معاجم الترتيب الهجائي التي تعبر عنها ، من الفقرات الاربع ، الفقرتان الاولى والثانية ، وكذلك تعبر عنها الفقرتان : الاولى والثالثة من الفقرات الثلاث • اما المعاجم التي تعاملت مع الابنية فعلى منهجين :

الاول – تقسيم المعجم بحسب الابنية ، ثم اعتماد الترتيب الهجائي داخل البناء الواحد • وهذا ما تعبر عنه الفقرة الرابعة من الفقرات الاربع ، والفقرة الثانية من الفقرات الثلاث •

الثاني – وهو ما يخص الفقرة الثالثة من الفقرات الاربع • وفيها يقسم المعجم على الحروف ، ويقسم الحرف على الابنية ، ثم يعتمد الترتيب الهجائي القائم على معاملة الحرف مع ما يليه في كل بناء من ابنية الحرف الواحد •

تلك طرائق الترتيب الهجائي في معاجم ذلك الترتيب • وقد التزمت هذه المعاجم بالحروف الاصلية للكلمة ، كما هو الحال في معاجم الترتيب الصوتي ، وما يستلزمه ذلك من حذف الزائد ، ورد المحذوف ، والعودة الى اصل الحرف المنقلب عن غيره • ومن النادر ان يأخذ معجم في المدرسة الهجائية هذه بالكلمة على ما هي عليه ، من دون اعتماد الحروف الاصلية • ومن تلك المعاجم التي اخذت بالكلمة على ما هي عليه معجم « الجيم » للشيباني (٢٠٦هـ/ ٨٢١ م) ومعجم «النهاية في غريب الحديث والاثر » لابن الاثير (٦٠٦هـ / ١٢١٠م) • اما التقليب ، وهو من منهج المدرسة الصوتية ، فقد اخذ به ابن دريد (٣٢١هـ/٩٣٣م) في معجمه « جمهرة اللغة » ، على ما تقدم به البيان •

ذلك هو المعجم العربي ، مادة ومناهج ، في منظور عام ، حاول هذا البحث ان يرسم صورة شاملة لمادته المتسعة ، ومناهجه المتنوعة ، وما قامت عليه من اسس علمية رصينة ، وما دلت عليه من براعة وتدقيق •

سمات المعجمات اللغوية العربية وخصـــائصها المنهجيـــة

أ.د. رشيد عبدالرحمن العبيدي
جامعة صدام للعلوم الاسلامية

الملخـص

هذا الموضوع يكشف عن السمات والخصائص المنهجية التي تميز بهـا المعجم العربي ، خلال عصور التأليف اللغوي عند علماء العربية ، منذ بـــدء التفكير في وضـع معجـم عربي يضـم مفردات اللغـة العربية وتفسـيرها ، والاستشهاد بكلام العرب نثره وشعره : في توضيح دلالات الكلمات العربيـة وضعا وسياقا • ومن المعلوم ان ابن عباس قد وضع اللمسات الاولى للمعجـم العربي حين كان يسأل عن مفردات القرآن الكريم ، ويطلـب منه إعطـــاء دلالاتها ، والشواهد التي وردت في لسان العرب في استعمالها ، ثم تلت ذلك عملية تأليف اول معجم عربي في القرن الثاني الهجري ، وهو الجيم لابي عمرو الشيباني (٢١٠هـ) ومعه او بعده كتاب العين للخليل بن احمـد الفراهيدي : (١٧٥هـ) ، ثم تلت هذين المعجمين مجموعة من المعجمات العربية ـــ على وفـق مناهج معجمية مختلفة ـــ كمدرسة الالفبـاء ، ومدرسة المخارج الصـوتية ، ومدرسة الموضوعات والمعاني ، كالتقفية للبندنيجي : (٢٨٤هـ) ، والجمهـرة لابن دريد : (٣٢١هـ) والصحاح للجوهري (٣٩٨هـ) وغيرها من معجمـــات الالفباء ، وكالتكملة للخارزنجـي (٣٢٥هـ) والحصائل للبخـاري (٣٤٥هـ)

والتهذيب للازهري : (٣٧٠هـ) وغيرها من معاجم مخارج الاصوات ، وكالغريب المصنف لابي عبيد : (٢٢٤هـ) والمخصص لابن سيده : (٤٥٨هـ) وغيرهما من معجمات المعاني والموضوعات •

ولقد كان المعجمي العربي يحاول في منهجه الابداع والجدة في منهجيته وخطة رسم معجمه ، فلا يرى القارىء اتفاقا في اصول هذه المعجمات • وطرائق التفسير ، ونظام ترتيب المواد ، بل يجد ان لكل مؤلف اسلوبه الخاص ، ونهجه المتميز • كما يدل على انّ الاصالة والابتكار سمة مميزة لكل واحد منهم ، فاذا كان الخليل قد وضع معجمه مرتبا على المخارج ، مع تقليب المواد ، والاشارة الى المهمل والمستعمل من كلام العرب ، فقد اخذ ابن دريد (بالالفباء) ، واكد فكرة التقليب ، ووضع ابن فارس كتابه على (الالفباء) ولكنه سار على منهج في ترتيب المواد ، لم يتبعه فيه احد من بعده ، ولا كان مسبوقا به •

وهكذا كان المعجم العربي يمثل صورة حيّة صادقة عن تفكير عربي اصيل لا تقليد فيه ، ولا كان متأثرا بما للامم الاخرى من تأليف في هذا المضمار •

تمهيـــد :

المعجم اللغوي تصنيف لغوي يتميز من سائر التصنيف اللغوي عنـــد الباحثين العرب بانه وعاء يحصر في داخله مفردات اللغة ، وتفسير دلالاتهـا العرفية والاجتماعية والسياقية عبر عصور الاستعمال حتى نهاية القرن الرابع الهجري الذي يعده الباحثون منطلقا لفساد الالسنة العربية ، وبدء التوليــد والاستحداث ، بتأثير الاختلاط والاحتكاك بالامم غير العربية • ودخـــول الغريب والمـُعـَرّب وما يجري مجراها في اللسان العربي •

ومنذ تنبّه العربي الاول على لغة القرآن الكـريم ، والمفـردات التـي استعملها كتاب الله ، والدلالات التي تضمنتها الاستعمالات القرآنية ، بـين الحقيقة والمجاز والمعاني البعيدة ، والمعاني القريبة ، وغرابة اللفظ ، وندرته او شيوعه الى غير ذلك من الوجوه والصور ، كانت هناك نزعة قوية في نفوس المعنيين بلغة الكتاب العزيز لمعرفة اسرار تلك الاستعمالات ، وضبط صـــور الدلالات ، وكشف حقيقة الاغراض التي هدف اليها اللفظ القرآني من جهـة التعبير وما يحمل من معان ودلالات من جهة اخرى •

فقد وقف الصحابة الاوائل على جملة كبيرة من المفردات القرآنية لـــم يألفوها في اســتعمالاتهم اليومية ، كلفـظ (فاطـر) و (فاكهة) و (أب) و (ضيزى) و (جاهلية) وغيرها ، حتى اننا لنجد ابن عباس (رضي الله عنه) يقول : ماكنت اعرف فاطر السماوات والارض حتى اتى اعرابيان مختصمان

في بئر فقال احدهما : (انا فطرتها) ، أي : أنا ابتدأت حفرها[1] ، ومن هنا عرف اللغويون هذا المعنى وتداولوه في تفسيراتهم اللغوية ، فقال ثعلب : سمعت ابن الاعرابي يقول : انا اول من فطر هذا ، اي : ابتدأه .... والفطرة ما فطر الله عليه الخلق من المعرفة به .[2]

وكان الحديث النبوي يحتمل جانبا آخر من جوانب الطرافة والندرة في مفردات اللغة واستعمالاتها وتراكيبها ، من نحو قوله صلى الله عليه وسلم [خضراء الدمن] وقوله صلى الله عليه وسلم [كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذان يُهَوِّدانه او يُنَصِّرانه او يُمَجِّسانِه ...] . وغيرهما مما دعا الصحابة (رضوان الله عليهم) ، ومن وليهم من التابعين ـ رحمهم الله ـ يتابعون التفتيش عن المعاني واختلافها وتنوع وجهاتها الدلالية ، ففي مادة (خضر) في المعجمات جملة كبيرة من دلالة (خضراء) ، ففيها معنى اللون بين الحوة والحتمة ، ومعنى الغضاضة والنعمة الهنيئة واللون الضارب الى السواد ، وعبر عنه القرآن بقوله تعالى : « مدهامتان »[3] فقال المفسرون : خضراوان ، لانهما يضربان الى السواد من شدة الري ـ والخضراء ، أي السواد المظلم ـ والخضراء البقول والثوم والبصل والكراث والنبات والمنبت ... وغيرها من الدلالات التي تحملها اللفظة[4].

وكذلك نال حديثه صلى الله عليه وسلم [كل مولود يولد على ...] ،اهتماما كبيرا من اللغويين والمعجميين ، فتناولوا لفظ (فطرة) و « يهود » و « ينصر »

---

(١) اللسان (فطر) : ٣٦٢/٦ .

(٢) اللسان : (فطر) ، والتاج : (فطر) .

(٣) الرحمن : الآية /٦٤ .

(٤) ينظر : الصحاح (خضر) واللسان (خضر) .

و « يمجس » ومدلول الحديث جملة ، واختلفت اتجاهات المفسرين والمعنيين بلفظة الحديث في تفسير المفردات الواردة فيه ، حتى غطت مساحات كبيرة من معجمات اللغة ، فضلا عن كتب غريب الحديث[٥].

لقد كان للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، واحاديثه صلى الله عليه وسلم تأثير كبير في تنشيط الفكر اللغوي عند معاصري النبي الكريم ولاسيما صحابته ومن تبعهم ، إذ ظهر حرصهم على بقاء اللسان العربي سليما نقيا من الزلل والخطأ واللحن في القرآن الكريم ، وفي محاوراتهم وكلامهم امام النبي صلى الله عليه وسلم ولقد أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نبّه متكلما امامه زلّ في تعبيره ، فقال لصحابته [ارشدوا اخاكم فقد ضَلّ][٦] • وكانت الامة قد اقتدت بهذا التوجيه ، وجعله شريعة يؤتى بها ، فقامت حكما ترصد ألسنة الناس ، وتقوّم كلامهم ، وتعدِل ما يقعون فيه من زيغ وخطأ في التعبير ، ولحن في كتاب الله ـ سبحانه ـ فكانت هذه البوادر الاولى للدرس اللغوي ، وهي بوادر تتصل بالقرآن والحديث ، وتنطلق من لغتهما ، والحرص على التزامهما لسانا عربيا فصيحا بعيدا عن الزلل واللحن والخطأ ، لان ذلك قد يؤدي الى الكفر والضلالة ، كما حصل لذلك القارىء الذي جر لفظ (رسوله)[٧] من قوله ـ تعالى ـ « ••• أن الله بريء منَ المشركين ورسولُه »[٨] وحقه ان يُرْفَع أو يُنصَبَ بحسب سلامة التعبير القرآني وأصول اللغة •

ومن هنا كانت اقوال الصحابة وتابعيهم في هذا المضمار ، تمثل بدء التفكير اللغوي في الدراسات اللغوية العربية ، والارهاصات الاولى لنشأة

---

(٥) انظر الحديث في الفائق : ٣/١٢٦ـ١٢٧ . وانظر الفائق (فطر) و (مجس) والنهاية (فطر) والمحكم (فطر) واللسان (فطر) ٦/٣٦٣ـ٣٦٥ (بولاق) .

(٦) الخصائص : ٢/٨ ومعجم الادباء : ١/٨٢ (ط مار جليوث) .

(٧) انظر : لغة الضاد ج٢/١٣٧ سنة ١٩٩٩م .

(٨) التوبة / ٣ .

علم اللغة في تاريخ التأليف اللغوي والبحث في اللغة ، وقد اثر عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قوله : (تعلموا الفرائض والسنن واللحن ، كما تعلمون القرآن) ، قال القالي : (واراد باللحن : اللغة[9] وهو رأي الاصمعي). ونقلت لنا كتب الاخبار والادب والتراجم اقوالا جمة في الحث على الاهتمام بالعربية وألفاظها واساليبها وتعلم قواعدها ، نسبوها الى الخلفاء الراشدين الاربعة والى الصحابة ـ وغيرهم ـ كأبن عباس وعائشة وابن مسعود وغيرهم[10].

كانت هذه الاهتمامات الواضحة من مسؤولي الامة العربية ، وأساليبها وتراكيبها وصحة النطق بها مدعاة الى توجه المعنيين بها الى مشافهة اهل اللغة ، والناطقين بها وتوخي الفصحاء منهم ، ليوازنوا بين ما جاءهم به القرآن الكريم من لغة الاعجاز ، وما تكلم به النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وهو يعيش بين ظهرانيهم ـ من المجازات البارعة ، والاستعمالات الجديدة ، والفصاحة العالية وهو القائل عليه الصلاة والسلام : [أنا أفصح العرب بيد اني من قريش ، وأني رَبيتُ في بني سعدِ بنِ بكرٍ ، فأنّى لي اللحنُ] .. هذا من جهة وبين ما يتكلم به العرب في بواديهم ، وما ينظمون من شعر ، وما يتداولون به من حوارات تنم عن حسن تصرف بلغتهم واساليبها البلاغية المتنوعة من جهة اخرى ، وذلك ان القرآن الكريم قد تحدى فصحاءهم ، ومصاقع خطبائهم ، وامراء البيان فيهم بان يأتوا بسورة من مثله او بعشر سور مفتريات ، فلم يجدوا بداً من التسليم له والاعتراف بعلو مقداره وبلاغته المعجزة فلما لم يستطيعوا على محاكاته ، قال تعالى : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثلِ هذا القرآنِ لا يأتونَ بمثلهِ ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » [سورة الاسراء : ٨٨] .

---

(٩) الامالي : ١/٥ (ط : دار الكتب) .

(١٠) ينظر : طبقات الزبيدي : ص ٣ فما بعد ونور القبس ٢ ـ ٣ والطبري ٣ / ١٢٩ .

والتحدي كان من القرآن لابناء الجزيرة الفصحاء منهم والبلغاء ، ولم يتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم في حديثه مثل هذا الموقف القرآني ، بل كان يظهر قدرته التعبيرية وفصاحته المثالية امام اصحابه ، فيعجبون بفصاحته ويسلمون له ببلاغة الكلمة ، وعلو الكعب في اسلوبه ، ولذلك لم يجرب عليه لحن ، ولم ينتبه احد على خروج عن اصول الكلام العربي ، او المخالفة لما عليه جمهور العرب من صحة التركيب وجمال الاسلوب ، وبلاغة التعبير وصور المجازات ، ومن هنا كان الباحث العربي قد شغل بلغة القرآن يقابلها بلغة فصحاء العرب ؛ ليجد الصلة بينها وبين القرآن الكريم ، وليدرك عناصر التحدي فيها للسان العربي ، ولم يكن التحدي يتجاوز العربي ولغته ، فليس للحديث النبوي مكان بين المتحدّي والمتحدّى ، ولذلك لم يلتفت الباحث العربي الى لغة الحديث ، ولم يعمد الى مقابلة النص الحديثي بالنص القرآني ، ولذلك ايضا لم يحاول اللغويون إدخال النص الحديثي في ضمن شواهدهم ، وادلتهم التي اعتمدوها فيما بعد بالدراسة النحوية[11] ، فكثر لذلك الشاهد الشعري والشاهد المثلي ، وكلام الفصحاء ومحاوراتهم ، وقل الشاهد الحديثي ولم يعتمد إلا في رفد المعجم اللغوي بمفردات الحديث ، ودلالات الفاظه وغريبه ونادره ، وهذا هو السر في كون الشاهد الحديثي قليل الورود عند علماء النحو العربي[12] ، كابن ابي اسحاق (١١٧هـ) وعيسى بن عمر (١٤٩هـ)، والخليل بن احمد (١٧٥هـ) وسيبويه (١٨٠هـ) ، وهذه الحالة هي التي تفسر لنا قلة ورود الحديث الشاهد في كتاب سيبويه ، اذ لم تتعد نصوص الحديث اكثر من سبعة احاديث •

ولكن المعجميين لم يهملوا النصوص الحديثية ، بل استكثروا من ايرادها مستفيدين من الفاظها ، وغرائبها ، وتفسير دلالاتها ومن هنا كانت كتب غريب الحديث مصادر مهمة لرفد المعجم العربي بالمواد اللغوية •

---

(١١) مقدمة كتاب : المعجم اللغوي التاريخي : فيشر ، ص ٨ .

(١٢) انظر كتابنا : الازهري في كتابه تهذيب اللغة ــ رسالة دكتوراه ــ ص ٣١٨ .

ولقد توجه العربي الباحث الى البادية لملاقاة اهلها ، ورواية اللغة عنهم ، ومشافهتهم ، كما حفل العلماء الاوائل خلال القرن الثاني الهجري فدونوا اللغة في رسائل متنوعة ، وموضوعات مختلفة في الحيوان والنبات والانسان والطبيعة والجماد والانسان وعلاقته بظواهر الكون ، ومن خلال هذه الاهتمامات الاولية برزت ظواهر لغوية ، لم تكن مقصودة من الباحث اللغوي، ولم تكن من اهدافه المبدئية ، ولكنها فرضت وجودها واثبتت حضورها فيما جمع ودون من اللغة ويمكن رصد الظواهر الاولية من عمل جامع اللغة بما يأتي :

١ ـ تبين لديه ان القبائل العربية ليست سواء في معايير الفصاحة فهناك الفصيح ، وهناك الافصح ، وهناك الردىء والاردأ ، والغريب والنادر ، والكثير الشائع والقليل .

٢ ـ وتبين لديه ان ثمة لهجات مختلفة ، قد تتعاور المفردة الواحدة والصيغة والبنية ، وقد تختلف في التراكيب والجمل ووجوه الاعراب ودلالات الالفاظ ، والتبدلات الصوتية .

٣ ـ وتبين لديه ان ثمة مفردات تختلف ابنيتها وتتفق معانيها ، وهو ما عرفته العربية بـ (الترادف) .

وان ثمة مفردة واحدة ، تختلف معانيها ، وتتعدد دلالاتها ، وهو ما عرفته العربية بالمشترك اللفظي .

وان ثمة مفردة تحمل المعنى وضده ، وهو ما يعرف بالاضداد وان ثمة مفردات تحمل دلالات متباينة ، كالارض والسماء والرجل والمرأة .

٤ ـ وتبين لديه ان العربية لغة اشتقاق وتوليد ، فالمادة اللغوية تتعدد طرق الاشتقاق منها ، وتتنوع الصيغ بحسب مراد متكلم اللغة كالافعال ، وصيغ الاسماء ، والتجرد والزيادة وغير ذلك مما يسم اللغة بسمة التوسع والنماء في اصل كيانها .

٥ ـ وتبين لديه ان العربية تأخذ وتعطي ، كسائر اللغات الحية ، ففيها من المفردات ماهو غريب ، ودخيل ، ومعرب وان العربي استعمل مفردات وقعت اليه من لغات اخرى وان العربية اشتركت في مفردات وجدت في اصل مادتها اللغوية ، كما وجدت في لغات اخرى غير عربية ، وهذه الحالة نبهت الباحث اللغوي العربي على العناية بهذه الظاهرة ، وافراز ما كان عربيا اصيلا من فحص لغته ، وما كان دخيلا عربيا ، ومن هنا ـ ايضا ـ ظهر في البحث اللغوي ما عرف بالاعجمي والمعرب مما ادى الى استحداث طريقة التنقيح والتهذيب ، وتميز الفصيح من غير الفصيح، وكانت هذه المسألة شاغلة لاذهان المعجميين الاوائل ممن وضعوا كتب (غريب القرآن) و (غريب الحديث) و (نوادر اللغة) و (غريب اللغة)، كما كانت شاغلة علماء المعجمات العامة ، كالخليل حين وضع معجمه الكبير ، وسماه (العين) وكأنه يشير بهذا العنوان الى الاهتمام بـ (عين) اللغة ، ومحض الصحيح منها ، وكأبي عمرو الشيباني الذي وضع معجمه (الجيم)، وسماه بهذا الاسم، وهو يقصد الى معنى (الديباج الحسن)(١٣) وكتسمية ابن دريد (٣٤١هـ) كتابه (بالجمهرة) وهو يريد جمهرة لغة العرب ، وكتسمية القالي (٣٥٦هـ) كتابه (البارع) ، ويريد انه بارع في جمع الصحيح من اللغة ، ثم تسمية الازهري (٣٧٠ هـ) كتابه بـ (تهذيب اللغة)(١٤) ، ويعني به تهذيبها مما داخلها من الغريب والدخيل ، وما ليس من محض العربية .

وكتسمية البشتي الخارزنجي (ت ٣٤٨هـ) معجمه بـ (التكملة) قاصدا بها تكملة ما فات علماء المعجم من صريح اللغة وفصيحها ، وكتسمية ابي الازهر البخاري (٣٢٥هـ) كتابه بـ (الحصائل) يريد به تحصيل مالم يستطع تحصيله

---

(١٣) انظر : المزهر : ٤٦/١ والقاموس المحيط : ٩٤/٤ (الجيم) وتاج العروس (جيم) .

(١٤) انظر دراستنا عن تهذيب اللغة ـ رسالة دكتوراه ـ ص ١٠٤ فما بعد .

من كان قبله من اللغويين[١٥] • وسمى الجوهري (٣٩٨هـ) كتابه المعجمـي بـ (الصحاح) قاصدا الى انه اورد فيه ما كان صحيحا من اللغة[١٦]•

وكذا يقال في مجمل (اللغة) لابن فارس : (٣٩٥هـ) و (مقاييس اللغة) له ـ ايضـا ، و (المحيـط) في اللغة للصـاحب : (٣٨٥هـ) و (المحكـم) و (المخصص) وهمـا لابن سـيده : (٤٥٨ هـ) والموعـب لابـن التيانـي (٤٩١ هـ) حتى كان (لسان العرب) لابن منظـور (٧١١ هـ) و (القامـوس المحيط) للفيروزآبادي (٨١٧هـ) فـ (تاج العروس) للزبيدي : (١٢٠٥هـ) وغيرها ، وجميعها تضرب على وتر واحد ، وهو تنقية اللغة العربية من الدخيل والغريب كما يتضح ذلك من تسميتها ، او من مقدمات مثل هذه المعجمات •

فقد اشار الجوهري مثلا ـ الى خروجه الى البادية ليجمع الفصـيح والصحيح من كلام العرب ، وعمد آخرون الى جمع ما صح واشتهر من اللغة من معجمات من كان قبله ، يقول الفيومي (٧٧٠هـ) في (المصباح المنير) الذي شرح فيه غريب شرح الوجيز للرافعي : اضفت اليه زيادات من لغة غيره ، ومن الالفاظ المشتبهات ••• وقيدت ما يحتاج الى تقييده بالفاظ مشهورة ، وجمعت اصله من نحو سبعين مصنفا مطولا ومختصرا)[١٧]•

وحين وجد ابن منظور ان اصول المعجمات التي عنيت بالفصيح واهتمت بالصحيح من اللغة خمسة كتب ـ كما يرى ـ وهي: تهذيب الازهري ، وصحاح الجوهري ، والحواشي عليه لابن بري : (٥٨١هـ) ، و (المحكم) لابن سيده (٤٥٨هـ) و (النهاية) في غريب الحديث ، لابن الاثير : (٦٠٦هـ) عمد اليها ، وافرغها في كتابه (اللسان) ولم يحاول ان يضيف اليه شيئا من غيرهـا إلا تعليقاته الخاصة وجملة قليلة من الفوائد التي وقعت حواشيَ على الاصول نفسها او على بعض الكتب التي بين يديه ، وهو يشير خلال اللسان الى ذلك

---

(١٥) ينظر : معجم الادباء : ٤٧/١٧ ، وثمار القلوب للثعالبي : ٢٤٧ .
(١٦) انظر : معجم الادباء : ٩٩/١ .
(١٧) مقدمة المصباح المنير ، وانظر كشف الظنون ١٧١٠/٢ .

ويقيد ما ينقله باسم المحشّي ، لكي لا يخلط القارىء بين اصل المواد التي استقاها من المصادر الاساسية والعبارات التي اضافها ـ على قلتها ـ من الحواشي ، ويصدر مثل تلك الحواشي بـ (قال محمد بن منظور) او (قلت : ورأيت حاشية ٠٠) او ما اشبه ذلك ٠

ولعل ابرز ما ننبه عليه في هذا البحث هو ان المعجم العربي قد توزع منذ البداية على مناهج تأليفية مختلفة ، اصبحت فيما بعد مدارس ، وكان التوزيع المبكر هو :

١ ـ الموضوعات والمعاني ، كما نرى ذلك في عمل ابي عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤هـ) في (الغريب المصنف) ، وسار على نهجه الثعالبي (٤٢٨هـ) في (فقه اللغة) وابن سيده في (المخصص) ٠

٢ ـ الالفباء ، كما ترى في عمل الشيباني (٢١٣هـ) في كتابه (الجيم) حين جعل صدر المادة اساسا ، و (التقفية) للبندنيجي : (٢٨٤هـ) متخذا قافية المادة اساسا ، ومن هذين الاساسين خرجت مدرسة الباب والفصل عند الفارابي (٣٥٠هـ) والجوهري (٣٩٨) ثم ابن منظور (٧١١هـ) ثم القاموس للفيروز (٨١٧هـ) ثم التاج للزبيدي (٢٠٥هـ) ٠

واخذ (بالالف باء) كذلك ابن دريد (٣٢١هـ) في جزء من منهجه وابن فارس في كتابيه المذكورين ، بطريقة فاذة لم يسبقه فيها احد ولم يسايره مَنْ بعده فيه ٠ وتطورت هذه المدرسة عند الزمخشري (٥٣٨هـ) في (الاساس) والفيومي في (المصباح) ٠ فكان منهجهما التزام الحرف الاول فالثاني فالثالث في الترتيب ٠

٣ ـ الطريقة الصوتية ، وهي التي نهض بها الخليل (١٧٥هـ) في (العين) وسايره من بعده جملة من علماء المعجم العربي ، وقد ذكرنا اسماءهم في ما مضى ، وكان آخرهم ابن سيده في (محكمه) ، والمهم في طريقة العين انه

وضع لنفسه منهجا كان اساسا لمدرسة معجمية اربعة قرون من بعده فقد اسس منهجه على :

١ ــ النظر في الثنائي والثلاثي وما فوق الثلاثي •

٢ الاخذ في التقليب : الثنائي الى مادتين : قرّ ورقّ ، والثلاثي الى ست ، فرد ــ فدر ــ رفد ــ درف ــ دفر ــ ردف والرباعي الى اربع وعشرين والخماسي الى مئة وعشرين وهكذا •

٣ ــ الاشارة الى المهمل والمستعمل في كلام العرب •

الاصالة في العمل المعجمي

تعد مصادر المعجم العربي تلك الرسائل اللغوية التي عمل اللغويون الاوائل على وضعها ومنهم مؤلفو المعجمات انفسهم ، فأبو عمرو الشيباني عمل على جمع اللغة ، ووضع الرسائل فيها ، ولكنه مع ذلك وضع معجما مهما يعد من اوائل المعجمات اللغوية العربية ان لم يكن اول معجم ، قبل (العين) للخليل بن احمد ، فقد وجد ابو عمرو إسحاق بن مرار الشيباني بين يديه جملة من رسائل اللغة ، كما وجد الطريق ميسورا الى عمل فهرسة للمواد اللغوية التي جمعت لديه من سماعاته ومدوناته ومصادره الاخرى ، ملتزما الترتيب الالفبائي الذي وضعه النصر بن عاصم الليثي (٨٩هـ) ، وعمله هذا يعد عملا اصيلا مبتكرا لم يسبقه فيه احد ، فوضع كتاب الجيم ، يفسر فيه هذه المواد اللغوية ويستشهد لها بكلام العرب شعرها ونثرها •

ولقد اتسم عمله بشيء من النقص ، لانه جديد في بابه ، فقد اعتمد على الحرف الاول في الترتيب وفسر المادة تفسيرا لغويا صرفا بما ينقله فيها من كلام العرب دون ان يعنى بالجانب الحضاري لدلالة الالفاظ وتطورها •

اما الخليل فقد ابتدع منهجا جديدا فيه الشيء الكثير من الاصالة والابتكار ، وعلى الرغم من انه لم يستطع التخلص من الاتجاهات اللغوية الصرف في تفسير المواد ، فان معجمه (العين) لم يخل من الاشارات الحضارية التي تعكس حال اللغة عبر حياتها الطويلة من عصر فحولتها حتى وضعه المعجم.

ولقد حاول الخليل ان يتميز بنظام المخارج في ترتيب حروفه[١٨] وان يجد لنفسه منهجا رياضيا دقيقاً يبني عليه ابواب الكتاب وفصوله ، فجعل المواد على الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي ، والتزم نظام التقليب الذي ينتج عنه في الثنائي مادتان ، وفي الثلاثي ست مواد ، وفي الرباعي اربع وعشرون مادة ، وفي الخماسي عشرون ومئة مادة[١٩] ، ثم سار في اول كل باب الى ما اهمل من المواد وما استعمل منها في كلام العرب ، وهذا النظام الرياضي لا ينطبق على اية لغة غير العربية .

وكان لمدرستي « الجيم والعين » اثر كبير في الحركة المعجمية خلال القرن الثالث ، ثم التي تلت ، غير ان المعجميين ، لم يجدوا محيصا من ان يضعوا لانفسهم ما يميز شخصياتهم ، ويطبع اعمالهم بطوابع مختلفة متنوعة ، تنم عن الاصالة التي يتمتع بها كل معجمي منهم .

فاليمان البندنيجي (٢٠٠هـ ــ ٢٨٤هـ) ، وضع كتابه (التقفية) معتمدا على (قافية المادة اللغوية المفسرة) مخالفا الشيباني ، في حين جعل الشيباني الترتيب الالفبائي أسلوبا له في ترتيب الابواب ولم يراع في ترتيب المواد الحرف الاول او الثاني للمادة اللغوية وان كان عمله في الجملة يدخل ضمن التأليف في انواع اللغة من المعجمات العامة .

---

(١٨) ادعى كاتب مادة (خليل) في دائرة المعارف ان الخليل قد تأثر في طريقة ترتيب الحروف بالسنكريتية ، وهو ادعاء لم يؤيده سند او نص .

(١٩) انظر مقدمة العين ، ومقدمة تهذيب اللغة للازهري . وما تقدم من هذا البحث .

وحين وضع ابن دريد (٣٢١هـ) كتابه الجمرة ، وجد في طريقة الخليل الرياضية دقة ، فاحتذى الخليل في الثنائي والثلاثي والرباعي ونظام التقليب ، وتفسير ما استعمل من المواد من كلام العرب ولكن شخصيته المتميزة ، واتجاهه العلمي الخاص فرض عليه ان يخالف الخليل في مسألة جوهرية من منهجه ، وهي : ترتيب الحروف على المخارج ، فهجر هذا الترتيب ، والتزم نظام (الالفباء) فكان كتابه (الجمهرة) متميزا بأسلوبه الخاص فضلا عن تميزه بكثير من المفردات والمواد والصيغ التي لم يوردها الخليل ولاسيما المفردات اليمانية .

وحاول المعجميون الذين قلدوا الخليل في منهجه ان ينفردوا بصفات علمية خاصة ، فوضع الازهري (٣٧٠هـ) (تهذيب اللغة) الذي حاول فيه ان يلتزم نظام الخليل بجملته ، إلا انه انفرد بأنه فصل المهموز عن المعتل ، وأودع كتابه سماعاته ونقوله من كتب العلماء ، واراءه الخاصة في اللغة ، وتمييز الغث من السمين ، وإخراج العربي الفصيح وفصله عن المعرب والدخيل ، ونقد العلماء ، فجاء (تهذيبه) بما يزيد على كتاب (العين) بخمسة اضعافه ، علما ولغة .[٢٠]

ووضع البشتي كتابه (التكملة) ليكمل فيه ما فات الخليل ، وابو الازهر البخاري (حصائله) ليحصل فيه ما فاته ايضا ، وتمييز كل واحد منهما بصفات لم يتميز بها الاخر .[٢١]

ويمكن ان يقال مثل ذلك في (بارع) القالي (٣٥٦هـ) و (محيط) ابن عباد (٣٨٥هـ) و (محكم) ابن سيده (٤٥٨هـ) . وعند ابن سيده تنتهي مدرسة العين ، ويختفي اثرها عند المعجميين .

---

(٢٠) انظر مقدمة تهذيب اللغة / ج١ .

(٢١) الازهري في كتابه : تهذيب اللغة : رسالة دكتوراه ، لكاتب البحث .

ويحاول الفارابي (٣٥٠هـ) في (ديوان الادب) والجوهري (٣٩٨هـ) في (الصحاح) ان يأتيا بطريقة جديدة في وضع المعجم العربي لم يسبقا اليها[٢٢] ، فيستفيدا من ترتيب الحروف على (الالفباء) ويلتزما نظام الباب وهو (قافية المادة) كما هي طريقة البندنيجي ، والفصل هو (صدر المادة) كما هي طريقة الشيباني ، وبهذه الطريقة المتميزة يظهر كتاب (الصحاح) ، ويغرق الجوهري في الدقة ، فيجعل للحرف الوسط من المادة مكانا في ترتيب مواد الفصل . وبذلك تصبح هذه الطريقة الفاذة في عالم المعجمات بدعا جديدا يحتذيه بعده جملة من المعجميين كالرازي (٦٦٠هـ) في (مختار الصحاح) والزنجاني في (تهذيب الصحاح) وابن منظور (٦٣٠هـ ـ ٧١١هـ) في (لسان العرب) والفيروزابادي (٨١٧هـ) في (القاموس المحيط) والزبيدي (١٢٠٥هـ) في (تاج العروس) .. ولكل من هؤلاء طريقته الخاصة المتميزة في تفسير المواد واستدراكاته ونقد اللغويين ، وتصويباته ، وتصحيح الخطأ ، والاعتماد على مفردات الحضارة والتراث ، حتى نكاد نستطيع ان نقول : إن بعض هذه المعجمات عنيت بألفاظ الحضارة اكثر من عنايتها ، بالتفسير اللغوي البحت ، كما ترى في (التاج) .

ولم يرق لمعجميين آخرين ان ينهجوا في معجماتهم منهج هذا وذاك ، فسنوا لانفسهم مناهج اخرى هي صورة جديدة من صور الاصالة ، والاعتداد بالشخصية فترى محمد بن تميم البرمكي يجرد (الصحاح) من (الباب والفصل ويسلك طريقة الترتيب الالفبائي بالنظر الى صدر المادة اللغوية ثم ما يليها ثم الحرف الثالث) ، وهي طريقة ميسرة سهلة تجنب الباحث في المعجم العربي اتعاب التفتيش والبحث الطويل ، اذ بطريقة البرمكي يمكن الاهتداء الى المادة اللغوية باسرع وقت ، لقد وجد المعجميون جدوى هذا المنهج فوضعوا معجماتهم على منواله ، فكان (اساس البلاغة) للزمخشري (٥٣٨هـ)

---

(٢٢) مقدمة الصحاح : الجوهري : ج١ والصحاح ومدارس المعجمات لأحمد عبدالغفور عطار .

و (المصباح المنير) للفيومي (٧٧٠هـ) وغيرهما من معجماتنا التراثية تسلك هذا المنهج الميسر ، وسارت هذه الطريقة سيرورتها في معجماتنا المعاصرة ، فأخذ بها الشرتوني والبستاني ومعلوف ورشيد رضا ومحمد محي الدين وغيرهم في ترتيب (اقرب الموارد) و (معجم متن اللغة) و (المنجد) و (ترتيب اللسان) الجديد ... وغيرها .

ويعطينا ابن فارس (٣٩٦هـ) مثالا رائعا للاصالة وقوة شخصية اللغوي العربي ، حين يصنع كتابيه (المجمل) و (مقاييس اللغة)[٢٣] فيخالف بهما كل المناهج المعروفة للمعجميين اذ نراه يلتزم ترتيبا خاصا فذا ، فيجعل المواد ثنائيا في الخط ثلاثيا في الحقيقة ، والثلاثي ، والرباعي والخماسي ، ويتمسك بمراعاة الحرف الذي يعقد عليه الباب ثم الحرف الذي يليه في الترتيب الالفبائي فاذا مر على سائر الحروف حتى الياء ، بدأ بالهمزة فالباء فالتاء حتى يصل الى الحرف المعقود عليه الباب ، وهذه الطريقة تبدو عويصة للوهلة الاولى فاذا تعلمها مراجع المعجم يسهل عليه الاهتداء الى المادة اللغوية .

ولقد بقيت هذه الطريقة مسجلة باسم ابن فارس ولم يجاره فيها احد ممن جاء بعده .

ولم تقف مناهج المعجميين على الفهرسة والتبويب المعتمد على الحرف ، بل تعدت ذلك وضع اللغة في موضوعات ومعان ، كما هو الحال عند ابي عبيد (٢٢٤هـ) في كتابه : (الغريب المصنف) ، وابن سيده في كتابه (المخصص) وهذا النوع من مناهج المعجميين يدل على الموسوعية في تفكير اللغويين العرب والاصالة في منهج التأليف اللغوي عندهم ، وهذا النوع من التصنيف المعجمي يمكن ان يوضع في ما يعرف (بالحقول الدلالية) في العصر الحاضر .

---

(٢٣) طبعه عبدالسلام هارون طبعتين . وطبع من المجمل جزؤه الاول . وطبع بعد ذلك طبعة محققة بعناية زهير عبدالمحسن سلطان ، ونال به شهادة الماجستير تحت اشرافي من معهد الدراسات العربية .

وتميزت بعض المعجمات بالجانب الحضاري من اللغة ، فكانت هناك معجمات تعنى بالنبات ، واخرى بالحيوان ، وثالثة بالمعرب والدخيل ، ورابعة بألفاظ الفقه ، وخامسة بألفاظ الطب والصيدلة .. وهكذا .

وهذه المعجمات تصنف في باب (المعجمات الخاصة) التي لا تتناول عامة اللغة .

ولعل من ابرز هذه المعجمات كتاب : مفردات ابن البيطار في الفاظ الطب، وحياة الحيوان الكبرى للدميري ، ومختصر المزني في الفاظ الفقه الشافعي ، والمعرب للجواليقي ، والبلدان لياقوت الحموي ، وغيرها .

ان المعجم العربي لم يحتج الى جهد عقلي بقدر ما يحتاج الى الجهد العضلي والوقت ، ومع ذلك فأن مناهج المعجميين واختلافهم تدل على استقلال عقل المؤلف العربي وقوة شخصيته ، وحبه للابداع والابتكار ، والاصالة في عمله .

معجم العلايلي
منهجه ومادته

د. عبدالله الجبوري
الجامعة المستنصرية ـ كلية الآداب

الملخص

ظهرت في العصر الحديث حركة لغوية اهتمت بتأليف معاجم لغوية تعتمد على (متن) اللغة العربية في القديم ، وتحاول الإفادة من المصطلحات العلمية والتقدم الحضاري لتقديم نتاجها المعجمي على وجه ينتفع به الناس حضاريا ولغويا .. ومن هؤلاء العلماء الذين كانوا يمثلون الحركة المذكورة آنفا ، الشيخ عبدالله العلايلي (١٩١٤ـ١٩٩٨) الذي اذاع بين الناس معجمين جديدين ، هما : المعجم (المجلد الاول ١٩٥٤) والمرجع (١٩٦٣ المجلد الاول ا ـ ج) ، وفي هذه الكلمة حاولت التعريف بهذين المعجمين وبالاسس التي سار عليها مؤلفهما .. مركزا على جهوده اللغوية في صناعته : (للمعجم) الذي كان من سمات النهج (العلمي) في تأليف معاجم اللغة .

في سنة (١٩٣٨) ظهرت الطبعة الاولى من كتاب :[١] « مقدمة لدراسة لغة العرب / ٢٥٠ص» للشيخ عبدالله العلايلي ، اودعها خلاصة تتبع وبحث في قوانين العربية « في صبر وجلَد يتسع إهابهما للمقابلة والتتبع والمحاكمة » • (مقدمة المعجم) ، ولطرافة ما جاءت به هذه (المقدمة) من نتائج مفيدة ، تلقاها بعض اهل الفضل من فضلاء العلماء بالقبول والبشرى • حتى عدّها احدهم مفتاح ابواب في العربية كانت طلاسم الى يوم صدورها ••

وكانت « محاولة جريئة تامة لشرح تطور العربية منذ عهدها الفطري الى يومها الحاضر ، في توسع وجرأة قسمت ذلك التطور ادوارا ، وقسمت الادوار حلقات »[٢].

ويعنينا ــ هنا ــ ما ورد فيها من آراء في « المجمع والمعجم » •• فوجود المجمع في المجتمع ضروري •• امّا المعجم ، فهو اللغة بكل تاريخها وتراثها المتسع الجنَبات •

وتنج عن هذه (المقدمة) امران :

اولهما : لفت (الانظار) الى دراسة (فقه اللغة العربية) على نحو جديد•

وثانيهما : ظهور معجمين لغويين ، فيهما تجديد وجرأة في المنهج •• والمعجمان هما :

١ ــ المعجم •

٢ ــ المرجع ، ظهر سنة (١٩٦٣) وهو معجم وجيز التفسير قصره مؤلّفه على (المأنوس من اللغة في قديمها ، وعلى المولّد الحديث الذي فرض وجوده في دائرة المصطلح العلمي)[٣] ، رتبه على ابواب المفردات بحسب لفظها ، ظهر

(١) مقدمة لدراسة لغة العرب ، القاهرة ، ١٩٣٨م ، المطبعة العصرية ، قدم لها اسماعيل مظهر ، وهي في (٢٥٠ صفحة) . العلايلي ولد سنة / ١٩١٤م ببيروت .

(٢) الخولي : مشكلات حياتنا اللغوية : ٩٦ــ٩٧ .

(٣) العلايلي : المعجم (المقدمة : ١٢) .

مجلده الاول (في / ٧٣٦ صفحة) وجعل منتهاه بفهرس (ألفبائي / أجنبي) اذ جعله دليلا للفرنسية وما يقابلها من العربية ، وللانجليزية وما يقابلها من العربية •• ورام في صنعه هذا الى جعله (المرجع) بمثابة ثلاثة معاجم في معجم، « عربي في أصله ، عربي اجنبي باثبات المقابل فيما اتفق » • وقصد به الى الطلاب ليكون « مفكرة لغوية »[٤].

ولو قيض الله ـ سبحانه ـ طبع (المرجع) كاملا لكان من انفع معاجم اللغة عند طلاب المدارس الثانوية والجامعات ، فضلا عن نفعه العام للمثقفين : « تذكرة يؤانسونها في الرغبة واللهفة » ••

لقد حظي (المرجع) بعناية نفر من اهل العلم ، تعريفا ونقدا ، فعرّف به : فؤاد افرام البستاني (رئيس الجامعة اللبنانية) بتقدمة ظاهرة[٥] ، كما تناوله الدكتور عدنان الخطيب بذكر خاطف في كتابَيْه عن[٦] (المعجم العربي) ••

وكانت نقدات الامير مصطفى الشهابي التي بثّها على صفحات مجلة (مجمع اللغة العربية بدمشق) من اظهر ما صدر من نقد له • اذ ذهب الى ان العلايلي : (نقل عن معجم الالفاظ الزراعية معظم مصطلحات الزراعة ومعظم

---

(٤) المعجم ، ومقدمة (المرجع) ، والمرجع في (١١٥٠) صفحة ، فيه (ثمانمئة صورة) ، كان جزؤه الاول في : (٧٣٦ صفحة) ويضم حروف الهمزة الى آخر حروف الجيم (أ ـ ج) • والثاني من (ح ـ ع) والثالث من (غ ـ ي) •

(٥) نشرت هذه المقدمة في (الاديب ، ج٣ س ٢٢ مارس ١٩٦٣) ص : ٥٧ ثم نشرت في مقدمة (المرجع) •

(٦) هما : المعجم العربي ونظرات في المعجم الوسيط ، دمشق (المجمع العلمي العربي بدمشق) ١٣٨٧ـ١٩٦٧ (ص ٣١ـ٣٢) ، و : المعجم العربين بين الماضي والحاضر ، القاهرة (معهد الدراسات العربية العالية) ١٩٦٦ـ١٩٦٧ (ص : ٥٦ـ٥٨) •

الاسماء الفرنسية والاسماء العلمية للنباتات دون ان يشير اليها ٠٠)[٧]٠

وكذلك تعقبه الدكتور محمد محمدي[٨] بذكر (تأثيل طائفة من المعرّبات) وهي نافعة بارعة ٠

امّا المعجم : فقد كان ثمرة دعوة العلايلي[٩] الى تبني اسس معجمية عربية جديدة ، نشرها في[١٠] : (المقدمة / ١٩٣٨) وفصّل خطوط بنائه في الباب الرابع منها : (المجمع والمعجم وشكليات اللغة) ٠٠ ومن اظهر هذه الاسس :

١ ــ إخراج (المعجم) عن اليد الاعجمية ، بحيث يطمئن اليه الباحث انه صنع نتاج عربي محض : (نتيجة جهد عربي خالص) ٠٠ كما صنع الخليل ٠

٢ ــ اعتماد منهج ابن فارس (توفي / ٣٩٥هـ) في (مقاييس اللغة) ٠٠ الذي وضعه على نحو فريد مبتكر ، لم يسبقه الى مثله سابق ، بناه على موازين (قوانين) لغة العرب ، التي سمّاها (مقاييس) ٠٠ اذ اخذ كل فصل من « المقاييس » الذي جعله اصل المادة اللغوية وما يتفرع عنها من مسائل « فروع » ٠٠ فالمقاييس : معجم اشتقاقي يرجع مفردات كل مادة الى معنى او معان مشتركة ٠

---

(٧) مجلة (مجمع اللغة العربية بدمشق ، مجـ ٤٣/ج١) ١٣٨٧ــ١٩٦٨ (ص ٣ــ٦) : ملاحظات شتى على معجمات حديثة .

(٨) الدراسات الادبية (بيروت س ٥/ع٢) ١٩٦٣ (ص ١٠٩ــ١٢٤) : نظرة في المرجع .

(٩) المعجم : دراسة بالفرنسية ، كتبها : فكتور حكيم : ترجمها : محمد عيتاني . (الاديب س ١٣/ج٩ ص ٧٠ــ٧١) ١٩٥٤ .

(١٠) تهذيب المقدمة اللغوية : ٢٦٦ــ٢٦٧ ، وينظر : المعجم : ٨ــ٩ .
وينظر : رشاد الحمزاوي : اسس المعجمية العربية تعيير ومنهج (حوليات الجامعة التونسية ع/١٥) ١٩٧٧ ، ص : ١٠٢ــ١١٥ .
واحمد مطلوب : آفاق نحو المعجم العربي الحديث ، (ص : ٨٧) ضمن ابحاث ندوة (المعجمية العربية ــ المجمع العلمي العراقي ١٥ــ١٦ شعبان ١٤١٢هـ) .

قال ابن فارس :[١١] « وقد ألّف الناس في جوامع اللغة ما ألّفوا ، ولم يعربوا في شيء من ذلـك عن مقيـاس من تلك المقاييـس ، ولا اصـل مـن الاصـول •• » •

وربما تكون (فكرة) ابن فارس ، من بنات افكار الخليل بن احمـد الفراهيدي (عبقريّ العرب) وندّت منها بَدَوات عند ابن قتيبة (توفي / ٢٧٦هـ) في كتابه « تأويل مشكل القرآن »[١٢].

٣ ــ رأى في عمل الجوهري « الصحاح وتاج العربية » كمال العقليـة العربية « بتمام قوتها » وظهور مكانة « المنطق » في اللغة ، فجعله من رواجع « المعجم » •

٤ ــ أقباس من منهج « المعجم التاريخي / النشوئي » ••

٥ ــ القصد الى إدخال العنصر الموسوعي باختصـار ، بما في ذلـك : المصطلح العلمي ، وإبعاد « المادة العلمية / أعلام ، بلدان » • وقد بسـط حسناته في « المقدمة / ١١ــ١٢ » وفي جملتها يكون « المعجم » فريدا جديدا في حقل العمل المعجمي ••

نشر منه المجلد الاول (في خمسمائة صفحة)[١٣] صدر منجمًا علـى شكل كراريس (دوريًا) واراد بعمله هذا ليكون محل نقد وتقويم ، مستفتيا به بين منهجين : « المنهج المحافظ ولو على الخطأ ، والمنهج المحرر ، او قـل : المنهـج المحافظ على ما هـو الاشبه بالصواب » • وكـان عنوانـه هكذا : « المعجم •• موسوعة لغوية علمية فنية » •

(١١) مقاييس اللغة (١/المقدمة) .

(١٢) ابن قتيبة والشعوبية : عبدالله الجبوري ، بغداد (دار الشؤون الثقافية) ١٩٩٠ (ص/١٤٦) .

(١٣) المعجم (المقدمة : مجـ ١/١٠ــ١٣) والمقابسة ، صدر سنة ١٩٥٤ ، عـن (دار المعجم العربي) بيروت . وتولى إنشاء هذه الدار : العلايلي ، وسهيل يحوت ، ومحمد العيتاني ، ببيروت ١٩٥٤ . (دار المعجم للنشر) .

وهذه (الموسوعية) جعلت منه (معجما) علميا اكثر منه (معجما) لغويا كما عرف العرب « المعجمات اللغوية » •• وهو عمل كبير تنوء به العُصْبة ، خذ مثالا منه :

قال : « الارجوسيّة : مدرسة يونانية في النحت ترجع الى القرن الخامس (ق•م) من اهم ما اعطت تمثال حامل الحرية ، تمتاز باظهار الاكتناز في العضل، ولكن في وضع منسَّق مريح » •

والمادة فيه شامخة كما تنطق ، ثم يفصّل القول في جذرها اللغــــوي ، ووزنها « قانونها » مع ذكرٍ ورودها في اللهجـات العربيــة « المولَّــدة » •• مشفوعة بذكر مقابلها بالفرنسية والانجليزية •• ولا ينسى المصطلح العلمــي ان كان رضيعا معها ••

ومخطط المعجم : ١ ــ يقوم مخططه على اسْتِخلاص الوحدة المعنوية ، أي : الوحدة الاشتقاقية الكبرى ، وهذه الوحدة افرزتها عبقرية علمـــــاء اللغة الاوائل : الخليل ، وابن جنّي) في / الخصائص (•• مبينا تطور الجذر اللغوي بين حقيقة ومجاز ، ليرد قول من اتهم العربية بأنها : « تنشر جناحيها وتطويها ــ في الكلمة ــ على معانٍ شتى من كل واد / ٨ » • « مشيرا الى الموروث الجزَري القديم (السَّامي) ليبين مدى تطور الكلم في مســـاره العربي « القديم والحديث » ••

وقد كشف ــ عبر سياحته اللغوية ــ عن حُفُول المفردة العربيـــــة بحكايات الالهة ، وهي (متخمة بالتَّرهيَّة) وذلك عكس ما يشاع عنهـا ، ورمْيها بالفقر « الاسطوري » ومن هنا أُؤكد : ان المعجم هو تاريخ الامة ••
واجتهد ان يبعد عن عمله (هوس المقارنة) بين (الساميّات) كما صنع (فيشر / المعجم اللغوي التاريخي) •• على الرغم من فوائد هذه المقارنة •
٢ ــ كشف العلايلي عن (قابلية) العربية لتقبل المنطق العلمي ، وطواعيتها للتعبير الفني المجرد • •وهذا مكتنز في مدونات المناطقة واهل الفلسفة •• وفي

محاولته هذه رد على ادعياء العلم الذين اتهموا العربية بالعقم وتمردهـا على التعبير العلمي .. ثم يسوق مثلا الى ما ذهب اليه ، موقف الدكتور (فانديك الكبير) الذي رفع راية الدفاع عـن علمية العربية في معسكر (التعريب) في الجامعة (الامريكية ببيروت) إبان تكوينها الاول .. ثم رأى ان العربية تقف بين حالتين اثنتين : إمّا التعريب ، وإمّا الوضـع .. وبينهما يقع الاختيار . وأمّا « التـعْـيل » فلا حاجة به ابدا ..

٣ ـ اعتماد اللفظ الخاص للمعنى الخاص ، وهذه سـمة الجرأة عنـد العلايلي ، والدلالة على فهمه العميق لفلسفة اللغة .

إذ قال : « ان التفرقة بين دلالتي الما صدق (اللفظ الخاص) والمعنى ، تخدم خدمتين اخريين :

أ ـ المفهوم الاصلي للوضع .

ب ـ إمداد المتعاطـي بالعربية بمعجـم اسـتعمالي ضـخم فيه تحديد ودقة » ..

وهذا من الوان اهمية الوضع في اللغة،وقد افاض في درسه وتبيان خطره علماء المنطق في مباحث « علم الوضع » وهو علم توارى الآن عن مناهـج الدرس في جامعاتنا العربية .

هذا قبَس من مخطط « المعجم » فضلا عن ذكر حَسَناته التي بسطها في مقدمته : (ص/١١) . وإمعانا منه في الدقة والتجديد ، ومجيئه بمـا لـم يذكره الاوائل رفع شعارا ، من قول أبي العتاهية (يوم اخذت عليه طائفـة اوزانه المستحدثة : ولكني سبقت الخليل ..) .

واليك مثالا آخر من مواد (المعجم) :

فمادة « التاريخ » موزعة على مفرداته ، ارخ ، المؤرخ ، فلسفة التاريخ ، المصطلحات التاريخية ، والمفردات التي تفرعت عن هذه المـادة ولها اصـول عربية او اجنبية .. فكل مفردة لها بابة مستقلة ، ذكرت كما تنطق ، من هنـا

تأتي فائدة مهمة من فوائده •• للقارىء العربي •• وهذا فَرْق عظيم بينه وبين معجمات اللغة العربية الاخرى ، فذكر « القانون » ــ الميزان الصرفي ، والجذر ، والاشتقاق ودوران المعاني ، مع الالماع الى نشوء المفردة ، وتاريخها الطويل ، وآنسيابها في لهجات عربية ، او رسوبها في (عاميّات عربية) •• مع ذكر الحقيقة والمجاز ، وقد خلا من « وَفْر الشواهد » الشعرية ، فاستبدل بها لغة التنزيل ولغة الحديث او (المأثور) •• من مجموع هذه السمات كان منهج العلايلي في صُنْع « المعجم » •• اراد به اظهار عبقرية العربية ، فاللغة عنده « مؤسسة مرتبطة ارتباطا مباشرا بنشاط الانسان ، تتحرك بقوانين الغاية لا السببية » •• فو َكَدُه : « إظهار معجم جديد يدفع بالعربية دفعة الى الحياة الحديثة ، فتفكر بعقلها ، وتتحرك بدفقها ، وتتذوق باسلوبها »[١٤] •• فايمانه العميق بسمو العربية ، راح يدرس ويفحص وينقد مذاهب اهل اللغة « قدامى ومعاصرين » في مناهجهم •• حتى ارتضى منهجا قال به لغوي نَيِّر ظاهر الشويري في رسالته : [١٥] « اللمع النواجم في اللغة والمعاجم» وخطوطها :[١٦]

١ ــ يجب ان يجعل متن اللغة قياسيا •

٢ ــ « تطبيق » مذهب ابن السّيد البطليوسي في : « الاقتضاب » وهو : ان لا يقال بالشذوذ ما وجد له وجه قياس •

---

(١٤) المعجم (المقدمة/٨) .

(١٥) رسالة (اللمع النواجم / نشرت مقدمة لمعجم الطالب ، تأليف : جرجس همام) والشويري : امين ظاهر خيرالله ، (١٨١٦ــ١٩١٦) اديب ، لغوي مجدد .. تنظر ترجمته في مصادر الدراسة الادبية (ج٣/ق١ ص/ ٤٠٦ــ٤٠٨) .

(١٦) العلايلي : المعجم : ٥ وينظر : مجلة الاداب (س١ ، ع/٢ ، ١٩٥٣ ص ٣٤ : العربية والنحو ــ كتاب لفريحة ــ نقد العلايلي) .

٣ ــ اعتماد قول « المازني / في الاقتراح » : إن ما قيس على كــلام العرب فهو من كلامهم •• وذكر ابن جنّي هذا القول في (الخصائص)[١٧] •
٤ ــ ان يؤخذ قول (الفيّومي) في : « المصباح » : ان عدم السّماع ، لا يقتضي عدم الاطراد مع وجود القياس •• من هذه الاراء صاغ العلايلــي منهجه الجديد المبتكر في وضع (المقدمة) ومن افيائها اســتظلت مباحــث واستوت معاجم •• منها : « المعجم الذي هو جهد لا يُعْرف ما خُطّ لــه في ضمير الغيب من قدر ، كما لا يُعرف اي شيء يكونه في الناس •• »[١٨] •

أمّا كونه ما خُطّ له في ضمير الغيب من قدر ، واي شيء يكون عنــد الناس •• فهو بحق ــ حُلُم العربية ــ بولادة مثله ، وكونه عند النــاس : اقول تغافل الناس عنه ، وتعلق بنقده أنفار •• كما ازورت المجامــع العلميــة « العربية »[١٩] عن درسه او نقده وتقويمه •• وهو حدث حادث ، وجهــد جاهد •• مع هتاف صاحبه للقارىء : « فكل قارىء هو مدعو مع شكري الى ابداء الرأي حتى ولو مشوبا بالازورار ، لان : / جديده محاولة خدمة « جاء بها على وجهها الافضل بالتصحيح » •• بل غاب ذكره في محافل اللغة والادب •• حينا من الدهر ، حتى كرّمته بغداد بــ (جائزة صدّام للاداب) •

المعجم و / المعجم اللغوي التاريخي والمعجم الكبير :

في سنة / ١٩٢٨م ، ظهرت الطبعة الاولى من (معجم اكسفورد اللغوي التاريخي الحديث) واستغرق العمل في إعداده وتأليفه سبعين سنة (بُدِىء به سنة / ١٨٥٧م) ونهض بعبئه مئات العلماء •• وهذا الحدث حفز بعــض الغَيُر منَ رجال الاستشــراق على صــنع عمل في العربيــة نظــير (معجم

(١٧) ابن جني : الخصائص : (١/١١٤) .
(١٨) المعجم : المقدمة : ٥ •
(١٩) اغفله مؤلف « المعجمات العربية » ، فذكر (المرجع ص/٣٠) ولم يذكــر (المعجم) •

اكسفورد) •• فانقدح وَمَضَ فكرته عند المستشرق الالماني (اوغستفيشر August Fischer ١٢٨٢/١٨٦٥ ـ ١٣٦٨/١٩٤٩) لينهد بعمل معجم لغوي تاريخي للعربية يضم كل كلمة ـ بلا استثناء ـ وجدت في اللغة ، وان تعرض على حسب وجهات النظر السبع التالية :

التاريخية ، الاشتقاقية ، التصريفية ، التعبيرية ، النحوية ، البيانية ، الاسلوبية ، ومنتهاه : من زمن النقوش العربية ، حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، « عصر اكتمال اللغة العربية » ••

ونُشِرَ من هذا المعجم الكبير جزء صغير (القاهرة ، ١٣٨٧ـ١٩٦٧) في ثلاث وخمسين صفحة من اول الهمزة الى (أبد) •• غير ان (فيشر) يشكر في خاتمة مقدمته : (المطبعة الاميرية التي قامت بطبع معجمه على الرغم مما به من صعوبات في الطبع غير عادية ، فوفّقت الى طبعة باتقان كما هو معهود فيها / ٣٤) •

ثم قام مجمع اللغة العربية بالقاهرة (١٩٧٠) بنشر (المعجم الكبير) فأصدر منه مجلدين : الاول : حرف الهمزة ، والثاني : حرف الباء ، وذلك بعد ان يئس من اخراج معجم فيشر •

فالمقارنة بين المعاجم الثلاثة (العلايلي ، فيشر ، المجمع) تقوم على مقصد واحد ، هو إخراج معجم لغوي ـ تاريخي ، وتختلف الاختلاف كلّه في المنهج والوضع ••

فمعجم فيشر ، اغرق في إيراد المواد السبع التي ذكرها آنفا ، فهو يأخذ المادة اصلا ، ثم يبدأ بتفريعها ، فمثلا : مادة «أب ، في مادة : أبب ، أبو ، أبي أبت ، أبّ ••• » ويسوق شواهد مادته من كلام العرب ، والقرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، والامثال ••

أمّا معجم المجمع اللغوي ، فقد اقترب قليلا من منهج العلايلي ، إلاّ انه ابتعد عنه بإيراده الشواهد بكثرة ، وذكره الاعلام مفصّلة ، فكأنه اراد به

ان يكون معلمة « دائرة معارف عربية وجيزة » • صبغتها المفردة اللغوية •• وأمّا ترتيب مواده ، فانها مرتّبة على حسب اصولها على وفق الحرف الاول فالثاني فالثالث من حروف الهجاء ، على نحو ما فعل الزمخشري في « الاساس » •

لذلك يبقى عمل العلايلي فذا فريدا في بابه ، ونفعه اقرب الى القارىء من المعجمين الاخرين (فيشر والمجمع اللغوي) لانه تجرأ على إظهار معقول العربية ، وما تحمله من عبقرية في العلم والحضارة ، في حين ان معجم المجمع ، جاء معجما « لغويا ـ حضاريا » فيه سَمْتُ المعاجم اللغوية القديمة ، مع جدّته في ذكر المصطلحات واللغات العربية القديمة « الساميات » •• اما معجم (فيشر) فقد دار في فلك « المنهج النشوئي / الدلالي » وقدّم جمهرة عظيمة من ألفاظ اللغة التي استعملها المؤلفون العرب في مؤلفاتهم •• كتبه بجهد واسع الجنبات استغرق منه اربعين سنة ، بعزم حديد ، وجهد دائب ، وهمّة عالية •• وهذا الرجل من اماثل « علماء المشرقيات » علما وصدقا[٢٠] ••

و (معجم العلايلي) : من افضل المعاجم التي : « احتفظت بسمات المعجم القديم وخصائص المعجم الحديث»[٢١]• لكنه ادخل الضيم على جهده المعجمي العظيم باثقاله بالمصطلح العلمي الجديد ، وبالفاظ حضارية واجنبية غطّت على بريق السَّمْت اللغوي العربي ••

---

(٢٠) ينظر عنه : الاعلام ١٩/١ ، ومجلة لغة العرب (٢/٢٥) ومجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (٢٤/٥٠٠) .

(٢١) أحمد مطلوب : آفاق نمو المعجم العربي الحديث : ٨٧ .

من مظــان البحــث

١ ــ الآداب :

بيروت (السنة الاولى / ٢ شباط ١٩٥٣) العربية والنحو ، انيــس فريحة ، نقد : عبدالله العلايلي .

٢ ــ ابن قتيبة والشعوبية، عبدالله الجبوري ، دار الشؤون الثقافية ، ١٩٩٠ .

٣ ــ الاديب :

بيروت (س ١٢/ج٦ يونيو ١٩٥٤) انيس فريحة : المعجم للشــيخ عبدالله العلايلي (ص/٦٤) . و (س ٢٢/ج٣ مارس ١٩٦٣) ص : ٥٧ .

٤ ــ الاصول العربية للدراسات اللبنانية ،

يوسف اسعد داغر ، الجامعة اللبنانية ، بيروت ١٩٧٢ .

٥ ــ الاعــلام :

خير الدين الزركلي (١٨٩٧ــ١٩٧٦) بيروت ، دار العلم للملايين .

٦ ــ تهذيب المقدمة اللغوية ، للعلايلي :

أسعد علي ، بيروت ، دار النعمان بيروت ١٣٨٨ــ١٩٦٨ .

٧ ــ حوليات الجامعة التونسية ،

تونس ، (العدد /١٥ــ١٩٧٧) ص : ١٠٢ــ١١٥ ، اسس المعجمية العربية تعيير ومنهج ، الدكتور رشاد الحمزاوي .

٨ ــ الخصائص (خصائص العربية) :

ابو الفتح ابن جني ، تحقيق: محمد علي النجار ، القاهرة ١٣٧١ــ١٣٧٦هـ (١ــ٣ ج) .

٩ ــ الدراسات الادبية :

(الجامعة اللبنانية) بيروت ، (س٥/ع٢) ١٩٦٣ (ص ١٠٩ــ١٢٤) نظــرة في المرجع الدكتور محمد محمدي .

١٠ ــ لغــة العرب :

بغداد ، الاب انستاس ماري الكرملي ، (س/٢ ص : ٢٥) .

١١ــ مجلــة (مجمع اللغة العربية بدمشق) : (مج ٢٤/٥٠٠) و (مج ٤٣/ج١) ١٣٨٧ــ١٩٦٨ ص : ٣ــ٦ الامــير مصطفى الشهابــي : ملاحظــات شــتى على معجمات حديثة .

١٢ــ المرجــع :

عبدالله العلايلي ، بيروت ، دار المعجم العربي ١٩٦٣ ، (المجلد الاول) .

١٣ــ مشكلات حياتنا اللغوية :

امين الخولي ، القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٥ (ط/٢).

١٤ـ مصادر الدراسة الادبية :

يوسف أسعد داغر ، بيروت ، الجامعة اللبنانية ، ١٩٧٢ (ج٣ القسم الثاني) .

١٥ـ المصطلحات العلمية والفنية العربية قديما وحديثا :

مصطفى الشهابي ، دمشق ، ١٩٦٥ .

١٦ـ المعجم :

عبدالله العلايلي ، بيروت ، دار المعجم العربي ، ١٩٥٤ (المجلد الاول) .

١٧ـ الدكتور عدنان الخطيب :

١ ـ المعجم العربي بين الماضي والحاضر ، القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ١٩٦٦ـ١٩٦٧ .

٢ ـ المعجم العربي ، ونظرات في المعجم الوسيط ، دمشق ، (المجمع العلمي العربي بدمشق) ١٣٨٧ـ١٩٦٧ .

١٨ـ المعجم الكبير :

مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، دار الكتب ١٩٧٠ (الجزء الاول) .

١٩ـ المعجم اللغوي التاريخي :

أ. فيشر ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ١٣٨٧ـ١٩٦٧ .

٢٠ـ المعجمات العربية :

وجدي رزق غالي ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ١٣٩١ـ١٩٧١ .

٢١ـ المعجمية العربية : (ابحاث)

ندوة المجمع العلمي العراقي ، (١٥ـ١٦ شعبان ١٤١٢ـ/١٨ـ١٩ـ شباط ١٩٩٢) .

٢٢ـ المقاييس (مقاييس اللغة) :

احمد بن فارس (توفي سنة /٣٩٥هـ) ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون ، (١ـ٦) ١٣٦٦ـ

٢٣ـ المقتطف :

(مج ٩٧/١٩٤٠) ص : ٢٥٢ـ٢٥٧ .

المعجم العربي القديم والمدونات الادبية
مثالب الوزيرين نموذجا

ا.د. نعمة رحيم العزاوي
جامعة بغداد ـ كلية التربية (ابن رشد)

الملخص

يتناول البحث منهج المعجميين القدماء الذي قام على ثلاثة معايير هي (المعيار الزماني) و (المعيار المكاني) و (معيار الصحة) فكان نتيجة لهذا المنهج الانتقائي ان المعجم العربي القديم لم يشمل جميع ما تكلم به العرب ، فصار ديدن مؤلفي المعجمات ان يستدرك الخالف منهم على السالف ، ويزيد على مادته اللغوية ما قد أخل به ، أو لم يتيسر له الوقوف عليه .

وترتب على منهج المعجميين القدماء امر آخر ، هو وقوف المعجمات عند كلام الفصحاء ، ونعني بهم اولئك الذين عاشوا في عصور الفصاحة التي انتهت في حدود النصف الثاني من القرن الثاني الهجري بالنسبة للحاضرة ، وفي حدود بداية القرن الرابع الهجري بالنسبة للبادية . ومعنى ذلك ان المعجم العربي لم يقبل ما دخل اللغة العربية من الفاظ الحضارة ومصطلحات العلوم التي ظهرت في القرن الثالث وما تلاه .

ولم يغفل المعجم العربي الفاظ الحضارة ومصطلحات العلوم حسب بل أهمل جميع ما ولّده الادباء ، شعراء كانوا او كتابا في العصور التي تلت عصور الفصاحة المشار اليها ، وقد اتخذ هذا البحث من كتاب (مثالب الوزيرين) لابي حيان التوحيدي مثلا للمولد من الاستعمالات التي اغفلها المعجم العربي القديم • فقد اورد هذا البحث نماذج مما ولّده ابو حيان التوحيدي من مادة لغوية لم تؤثر عن عصور الفصاحة ، وبقيت بعيدة عن مادة المعجم العربي القديم •

يجد الناظر في معجمنا العربي القديم قضايا كثيرة تستحق البحث : وتستدعي التسجيل والمناقشة ، ولعل اهم هذه القضايا ، واولاها بالبحث ، هي مسألة منهج المعجميين الذي قام على (الانتقاء) ، واستند فيما دوّن من كلام العرب الى معايير ثلاثة ، هي (المعيار الزماني) و (المعيار المكاني) و (معيار الصحة) ، فما طابق هذه المعايير اعترف به المؤلف ، واودعه كتابه ، وما خرج عنها اهمله ، وجعله خارج السور الذي ضربه على معجمه .

وقد ادى هذا المنهج الانتقائي الى عدم شمول المعجم لكلام العرب الذين عاشوا إبّان عصور الاحتجاج ، والى اغفاله ما تكلم به ادباؤهم وعلماؤهم وفلاسفتهم واطباؤهم بعد تلك العصور ايضا .

واذا كان المنهج الذي اتبعه المعجميون هو سبب عدم شموله كلام العرب خلال عصور الاحتجاج ، فان ثمة عاملا آخر غير منهجي كان وراء تقصير المعجم عن الاحاطة بكلام العرب الفصحاء ، وهو انه كان نتاج افراد ، والفرد مهما اوتي من قدرة ، ومهما ابتغى من الوسائل ، فان جهده لا يستطيع ان يستقصي جميع كلام العرب ، ولا يقوى على الاحاطة به . ولو كان العمل الجماعي معروفا آنذاك لتلافى واضعو المعجمات هذا العامل غير المنهجي الذي ادى هو ايضا الى عدم شمولية معجمنا القديم .

ساعرض في بحثي هذا لمسألة شمول المعجم العربي القديم جميع ما تكلم به العرب الفصحاء ، وأعرض ايضا لاغفاله ما احدثه المتكلمون بالعربية بعد عصور الاحتجاج من مادة لغوية ، وسأتخذ مما ولّده اديب كبير من ادباء العربية في القرن الرابع الهجري ، هو ابو حيان التوحيدي ، في كتاب واحد من كتبه هو (مثالب الوزيرين) نموذجا للجديد اللغوي الذي بقي واقفا على ابواب المعجم العربي ، ولم يؤذن له في دخوله حتى يومنا هذا .

(١)

المعجم العربي والشمول

كان اغلب مؤلفي المعجمات العربية يسعون الى جعل معجماتهم شاملة ما تكلم به العرب في عصور فصاحتهم ، وكانوا يتنافسون في ذلك ، لئلا يند عنهم شيء مما جرت به ألسنة العرب ، او ضمّه الموروث من شعرهم ونثرهم ، وغير بعيد منا ما قام به الخليل بن احمد من طريقة رياضية ، توخت الاحاطة بلغة العرب حتى لا يشذ عنه شيء منها ، فقد اخترع فكرة التقاليب ، واراد بها أن يحصر كل الالفاظ المحتملة عقلا من الصيغ الثنائية والثلاثية والرباعية والخماسية ، ما كان منها مهملا وما كان منها مستعملا ، اذ كان ينص على ما وجده مهملا من مادة لغوية تنجم عن طريقة التقليب التي اتبعها .

وعلى الرغم من ان الخليل اتبع فكرة التقليب هذه ، التي اصبحت معلما رئيسا من معالم منهجه في التأليف المعجمي ، الذي قلده فيه غيره ، لم يحقق ما طمح اليه من شمولية واحاطة ، لان « فكرة التقاليب التي اخترعها لم تف بذلك ، وغاية ما استطاعت تحقيقه هي حصر جذور الكلمات وأصولها ، اما ما يتفرع عن هذه الجذور ، ويولده عنها الاشتقاق والارتجال والتعريب والنحت من الالفاظ التي لا حصر لها ، فظل بعيدا عن ان يحاط بها . ولذلك وجدنا ان من بين الاهداف التي عمل من اجلها المعجميون الذين جاؤوا بعد الخليل ، الاستدراك على ما اهمله كتابه ، واضافة ما لم يورده ، حتى قالوا ان عدد زيادات كتاب (البارع في اللغة) لابي علي القالي على كتاب العين بلغ نحو ٥٦٨٣ كلمة »[١].

---

(١) قضايا المعجم العربي في كتابات ابن الطيب الشرقي (عبدالعلي الودغيري): ١٢٦ ، ١٢٧ طـ١ ، الرباط ١٩٨٩ .

ومعنى ذلك ان كتاب (العين) على ما عرف به من شمول ، وسعة احاطة بما تكلم به العرب ، لا يسعف من يرجع اليه احيانا من اجل فهم بعض الكلمات الواردة في الشعر الجاهلي ، وفي المشهور الذائع من هذا الشعر ، كمعلقة امرىء القيس .

ولم يكن معجم العين بدعا من المعجمات الاخرى فيما لوحظ عليه من نقص ، او ظهر فيه من تقصير عن استيعاب كلام العرب ، بل شركته في هذه الظاهرة المعجمات الاخرى ، فما من واحد منها إلا استدرك على الذي جاء قبله ، وكشف عما فاته من ألفاظ .

وقد حاول بعض القدماء تفسير عدم استطاعة المعجمات الاحاطة بكل ما تكلمت به العرب ، فذهب الشافعي وابن فارس والسيوطي الى ان لغة الضاد لغة متسعة ، لا يحيط بها جميعها احد سوى من اوحي اليه كالانبياء . وقد شاع هذا الرأي في الفكر العربي القديم ، حتى لقد وجدنا الازهري في مقدمة كتابه (تهذيب اللغة) يدافع عن الخليل ، ويرد على احمد بن محمد البستي الذي الف كتاب (التكملة) ، واستدرك فيه ما اغفله الخليل ، مع دعواه الاحاطة بكلام العرب : « ولا يجوز ان يخفى على الخليل مع ذكاء فطنته وثقوب فهمه ان رجلا واحدا ليس بنبي يوحى اليه يحيط علمه بجميع لغات العرب والفاظها على كثرتها ، حتى لا يفوته منها شيء وكان الخليل اعقل من ان يظن هذا ويقدره » .

ولابد من الاشارة هنا الى ان مؤلفي المعجمات القديمة كانوا (انتقائيين) في جمع مادة معجماتهم ، اذ فرضوا على انفسهم معايير ثلاثة ــ كما تقدم ــ هي (المعيار الزماني) و (المعيار المكاني) و (معيار الصحة) . فأما المعيار الزماني فقد تمثل في ان تكون مادتهم اللغوية مما روي عن العرب الذين عاشوا فيما سموه (عصور الاحتجاج) وهي عصور تنتهي في حدود النصف الاول من القرن الثاني الهجري بالقياس الى الحاضرة ، وفي حدود بداية القرن الرابع الهجري بالقياس الى البادية . وأما المعيار المكاني فقد اجمعوا على انه يتمثل

في القبائل التي سكنت سرة الجزيرة العربية ، وابتعدت من الثغور والتخوم ، التي كان الاعاجم يطرقونها ، او يفدون عليها للتجارة وغيرها من شؤون الحياة .

واذا جئنا الى معيار (الصحة) وجدنا ان المقصود به هو الاقتصار على ما ثبتت روايته عن العرب الواقعين في الاطار الزماني والمكاني المشار اليهما . قال السيوطي تحت عنوان (معرفة ما روي من اللغة ولم يصح ولم يثبت) : « هذا النوع يقابل النوع الاول الذي هو الصحيح الثابت ، والسبب في عدم ثبوت هذا النوع عدم اتصال سنده لسقوط راوٍ منه ، او جهالته او عدم الوثوق بروايته لفقد شرط القبول فيه »[٢].

وبسبب معيار الصحة هذا قابل بعض اللغويين كتاب جمهرة ابن دريد بالشك والارتياب ، لانهم اعتقدوا انه اخل بمعيار الصحة . قال الازهري : « ممن ألف الكتب في زماننا فرمي بافتعال العربية وتوليد الالفاظ ابو بكر بن دريد ، سألت عنه ابراهيم بن محمد بن عرفة ـ يعني نفطويه ـ فلم يعبأ به ولم يوثقه في روايته »[٣].

ومن اجل ذلك ترددت في معجماتنا القديمة مثل العبارات الاتية : (مصنوع) و (ليس بثبت) و (لا ادري ما صحته) و (لا اعرف حقيقته) و (لست منه على ثقة) و (فيه نظر) ، وهي عبارات تدل على ان المعجميين إن سمحوا لانفسهم احيانا برواية مفردات واستعمالات مشكوك فيها ، لم يفتهم ان يتحفظوا ازاءها ، ويدرؤوا عن انفسهم نقد الناقدين ، وهذا ما دعا الجوهري الى ان يجعل عنوان معجمه (تاج اللغة وصحاح العربية) ويذكر في مقدمته : «فاني قد اودعت هذا الكتاب ما صح عندي من هذه اللغة التي شرّف الله تعالى منزلتها » .

---

(٢) المزهر : ١٠٣/٢ .
(٣) نفسه : ٩٣/١ .

ولغرض تحقيق معيار الصحة لدى مؤلفي المعجمات وضعوا شروطا يجب توافرها فيمن يروون عنهم اللغة ، كالصدق والعدالة والثقة ، بل اشترطوا احيانا تواتر الرواية .وليس ببعيد من اذهاننا ماكان اللغويون يضعون للاعراب الذين يفدون عليهم من اختبارات ، لمعرفة مقدار نقاء سلائقهم وعدم افتعالهم ما يروون . وهذا يعني ان عاملين كانا وراء عدم احاطة المعجمات العربية بكل ما تكلم به العرب ، احدهما عجز المؤلف بطبعه عن ان يحيط بكل ما تكلم به العرب ، لان ذلك يفوق قدرة الفرد ، ويخرج عن طوقه ، لسعة هذه اللغة واتساع الرقعة المكانية التي شغلتها ، والاخر الاسلوب الانتقائي الذي فرضه المعجميون على انفسهم .

ولا تفوتنا الاشارة هنا الى ان من اسباب عجز مؤلف المعجم عن الاحاطة بكلام العرب ، وجعل مؤلفه شاملا ، سواء أأخذ مادته عن العرب مباشرة ام اخذها عن المدونات التي سبقت معجمه ، صعوبة المواصلات ، وعدم قدرته على الوصول الى كل ما يريد الوقوف عليه من نصوص ، لغرض جردها واستقرائها ، كما ان من الجائز ان تكون بعض تلك النصوص قد تعرضت للضياع ، فحال جميع ذلك دون تحقيق الشمول لاي معجم يراد تأليفه ، ولذلك كان يأتي بعد كل معجمي من يستدرك على معجمه ، ويزيد عليه بعض ما فاته .

فالوسائل المتاحة امام مؤلفي المعجمات القديمة كانت قاصرة ، والعمل الجماعي كان مجهولا آنذاك ، ومنهج التأليف كان انتقائيا ، فادى كل ذلك الى عدم شمول المعجم القديم كلام العرب كله . ولذا بدأ المعجميون في عصرنا الحاضر يعدلون عن الجهد الفردي ، ويستبدلون به العمل الجماعي ، ويستعينون بآلات الجرد والاحصاء والترتيب والتخزين واستحضار المخزون.

(٢)

المعجم العـربي والمولد

لقد أشرنا فيما مضى الى ان منهج التأليف المعجمي عند اللغويين القدماء قد تميز بالوقوف عند المادة اللغوية التي طابقت المعايير الثلاثة ، المعيار الزماني والمعيار المكاني ومعيار الصحة ، ومعنى ذلك انهم نظروا الى كل مادة لغويـة جديدة بكثير من الحذر والاشفاق ، تحدوهم على ذلـك نزعتان (دينيـة) و (قومية) ، فاما النزعة الدينية فقد كانت تخشى ان يؤدي الجديد اللغوي بمرور الزمن الى خلق لغة او لغات تغاير لغة القرآن الكريم والسـنة وشـرائع الدين ، وفي ذلك خطر على الدين الذي لا يمكن ان يفهـم على حقيقته إلا بالرجوع الى نصوصه الاصلية[٤] . وأما النزعة القومية فقد كانـت ترى ان الجديد اللغوي يهدد وحدة الامة ، ويقطع جسور التواصل الحضاري بـين اجيالها المتعاقبة ، وشعوبها المتباعدة ، اي ان الاستسلام للجديد اللغوي قـد يؤدي الى ان يجيء يوم تتحول فيه الامة العربية الموحدة ثقافيا ولغويا الـى امم وشعوب تضعف فيها الروابط والوشائج ، وتتخلى عن تراثها الـذي سيضيع بضياع لغتها[٥] .

وبسبب نظرة المعجميين هذه للجديد اللغوي ، نراهم قد ملؤوا معجماتهم بكل ما يتصل بشؤون العرب في جزيرتهم ، ونقلوا لنا اسماء حيوانهم ونباتهم ووديانهم وجبالهم وكثبانهم ومياههم وادواتهم وعاداتهم ، وجمعوا المترادفـات والاضداد ومصادر الافعال والجموع وسوى ذلك ، وفي مقابل ذلك اعرضوا عن تدوين ما تمخضت عنه حركة المجتمع الجديد في العصر العباسي ، وما جلبته

---

(٤) قضايا المعجم العربي في كتابات ابن الطيب الشرقي : ١٦٩ .
(٥) قضايا المعجم العربي في كتابات ابن الطيب الشرقي : ١٦٩ .

الترجمة من الفاظ جديدة ، وما ولّدته العلوم من اسماء ومخترعات ، وما استخدمه الشعرا والكتاب من تعابير واصطلاحات وما اوجدته المهن والصناعات من كلمات .

لقد صمتت المعجمات العربية القديمة عن الجديد اللغوي في كل صوره ، فلم تنقل لنا الا القليل الذي لا يصور لنا ما احرزته الحضارة العربية الاسلامية من تطور ونضج ، ذلك لان مؤلفيها عزلوا نفوسهم عن مشاهدة حركة الحياة ومتابعة تطورها ، فادى ذلك الى ان تنعدم في معجماتنا اهم خصيصة تتميز به معجمات الامم ، وهي ان تكون صورة للمجتمع الذي تؤلف فيه ، ومرآة صافية لنوع الحياة التي يحياها .

ولابد من ان نسأل : هل كان بامكان المعجميين العرب ان يجمعوا بين الحفاظ على الصورة التي يريدونها للغة العربية ، وفتح الباب امام الجديد اللغوي ؟

أعتقد ان ذلك كان ممكنا ، وان السبيل اليه كانت ميسورة ، اذا ما راعوا ان يكون الجديد اللغوي مما يجري على قوانين اللغة ، ويخضع لنواميسها الثابتة .

واذا كان المعجم العربي القديم قد عزل نفسه عن حركة الحياة فان هذه الحياة ظلت تنمو وتتطور ، وبقيت العربية تستجيب لهذا التطور ، وتعمل على مسايرته ، ولكن ذلك لم يظهر في المعجم ، بل ظهر في مؤلفات العلماء من اطباء وفلاسفة ومتصوفة وفقهاء واصوليين وفلكيين ومهندسين ورياضيين ، وظهر ايضا في دواوين الشعراء ورسائل الادباء ومجاميعهم ومقاماتهم ومحاضراتهم واملاءاتهم .

ولابد لنا من الاشارة هنا الى ان الجديد اللغوي الذي اعرض عنه مؤلفو المعجمات قد سمي مرة (المولّد) وسمي اخرى (المحدث) وهما لفظان يتساويان في الدلالة عند اكثر النقاد واهل اللغة ، فقد عرفه الزبيدي في

مختصر العين : « المولد من الكلام المحدث »[٦] . وقال السيوطي في تعريفه : « ما احدثه المولدون الذين لا يحتج بالفاظهم ، والفرق بينه وبين المصنوع ان المصنوع يورده صاحبه على انه عربي فصيح ، وهذا بخلافه »[٧] . وجاء في لسان العرب : « سمي المولد من الكلام مولدا اذا استحدثوه ولم يكن من كلامهم فيما مضى »[٨].

على ان المعجمات لم تستطع اغفال الجديد او المولد اغفالا تاما ، بل تسرب منه اليها شيء قليل ، مما دعا مؤلفيها الى التنبيه عليه ، لئلا يُظن بهم أنهم يساوونه بالعربي الذي تكلمت به الفصحاء في عصور الاحتجاج .

ولا تحسَبَنّ ان الجديد اللغوي لا يمت الى العربية بنسب ، فأكثره مأخوذ من مواد لغوية عربية ، ومفرغ في اوزان وابنية عربية ، وبعضه مأخوذ من لغات اجنبية ، بعد ان صيغ في قالب عربي ، واتخذ لنفسه وزنا عربيا ، وقسم ثالث من هذا الجديد كان عربيا جرت به ألسنة الفصحاء لكنه تطورت دلالته ، واضفي عليه معنى او معان جديدة على سبيل التوسع والمجاز . وبهذا الصنيع استطاع العرب ان يطوعوا لغتهم لحياتهم ، ويجعلوها وافية بمطالب فكرهم ومعاشهم ، فكانوا بذلك اعرف باللغة وطبيعتها من مؤلفي المعجمات ، فقد عرف العلماء والادباء « كيف يستغلون المادة اللغوية الموروثة ، فاشتقوا منها وولدوا وعربوا ووسعوا الحقول الدلالية للالفاظ ليعطوها حياة جديدة ، وطعما معاصرا ، وشحنوها بطاقات تفخت فيها حرارة الروح مستغلين في ذلك كل ما تسمح به القوالب والاوزان والصيغ والابنية الصرفية لا يخرجون عنها إلا عند الضرورة القصوى ، اي عندما لا تساعدهم الابنية الموجودة على اداء الفكرة او المعنى المطلوب ، ثم انهم اشاعوا هذه الالفاظ والمدلولات الجديدة

(٦) المزهر : ١/٣٠٤ .
(٧) نفسه .
(٨) لسان العرب (ولد) .

في مؤلفاتهم ودواوينهم ، واما اصحاب القواميس فظلوا في الغالب حريصين على ان يقفوا موقف المتفرج على هذه الحياة الجديدة ، التي تنعم بها اللغة ، وسعه العيش التي رزقتها ، ويأبون ان يعترفوا بالامر الواقع »[٩].

وازاء صمت المعجمات العربية عن المولد او الجديد اللغوي ، نهض بعض المستشرقين بجمع هذا الجديد من مظانه ، محاولين بذلك استكمال النقص الحاصل في معجماتنا القديمة ، ثم افردوا له كتبا سموها (تكملة) للمعجمات العربية ، او (ذيلا) لها ، وما عمل (دوزي) و (ادوارلين) ببعيد منا في هذا المجال . ولكن اعمال المستشرقين لم تستطع ان تستقصي كل ما اغفلته المعجمات القديمة من الفاظ الحضارة العربية الاسلامية ، فما زال هناك متسع لجهود لغويينا المعاصرين ، ليكملوا ما بدأه المستشرقون ، ويستدركوا ما فاتهم من هذه الالفاظ .

وثمة امر آخر لا يستطيع المستشرقون النهوض به ، وهو استقصاء ما قصّرت فيه المعجمات القديمة من مادة لغوية صاغها شعراؤنا وكتابنا الذين عاشوا بعد عصور الاحتجاج ، وهو امر لايزال أملا يخامر نفوس اللغويين العرب المعاصرين ، ولكنهم لم يحظوا في سبيل تحقيقه الا خطوات محدودة .

وسأحاول في هذا البحث ان انبه على ما اغفلته المعجمات العربية مما ولّده ابو حيان التوحيدي في كتاب واحد من كتبه ورسائله الكثيرة ، هو كتابه المشهور (مثالب الوزيرين) .

وقبل ان امضي في هذا الامر اريد ان انوه بما صدر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة من « قرارات تبيح استعمال الجديد وادخال المولد في المعجمات ما لم يكن هذا المولد خارجا عن اقيسة العرب ولا مجافيا لابنيتها واساليبها في

(٩) قضايا المعجم العربي في كتابات ابن الطيب الشرقي : ١٨٥ ، ١٨٦ .

الاشتقاق والتعريب »[10] • وقد جرت المعجمات التي وضعها مجمع اللغة العربية في القاهرة ومنها المعجم الوسيط على هذا المنهج الصحيح ، وفعلت مثل ذلك المجامع العربية الاخرى ، ومنها المجمع العلمي العراقي ، الذي اصدر الكثير من المعجمات المتخصصة التي تضم جانبا من مصطلحات العلوم والفاظ الحضارة •

(٣)

ما اخل به المعجم العربي من الجديد في (مثالب الوزيرين)

إن من المعالم البارزة في حياة ابي حيان التوحيدي (٤٠٠هـ) اتصاله بابي الفضل بن العميد في الري ، وكان من كبار الساسة والادباء في عصره ، غير ان ابا حيان لم يحظ عنده ، ولم ينل ما كان يؤمل منه ، واتصاله بالصاحب ابن عباد في الري ايضا ، وهو وزير واديب ، غير ان حظه عنده لم يكن اسعد من حظه عند ابن العميد •

لقد عاد ابو حيان الى بغداد عام ٣٧٠هـ بعد ان جرّعه الوزيران مرارة الخيبة واذاقاه صاب الحرمان ، فالّف في ذمهما كتاب (مثالب الوزيرين) الذي اودع سطوره ما امتلأت به نفسه من حقد عليهما ، وبث في صفحاته من هجوهما والقدح فيهما ما لن تمحوه الايام •

إن ما كتبه التوحيدي في (مثالب الوزيرين) جاء صدى لاخفاقه في نيل عطاء ابن العميد وابن عباد ، والفوز برضاهما ، بعد ان قصدهما بأمل فسيح ، وصدر يعمره الرجاء ، ولكن « جرعة الحرمان — على حد قوله — امرّ من

---

(١٠) قضايا المعجم العربي في كتابات ابن الطيب الشرقي : ١٨٧ بتصرف يسير .

جرعة الشكل ، وضياع التأميل امضى من الموت »[11] . حقق الكتاب ونشره في دمشق عام ١٩٦١ الدكتور ابراهيم الكيلاني .

لقد ضم كتاب (مثالب الوزيرين) قدرا لا يستهان به من المادة اللغوية التي تصرّف فيها ابو حيان التوحيدي ، واستعملها على غير الوجه الذي تجدها عليه في المعجمات ، والذي يلفت النظر ان المعجمات التي أُلفت بعده لم تذكر ما نال هذه الالفاظ على يديه ، لانها لم تُعن بغير لغة عصور الاحتجاج كما سلف به البيان ، فأخفت عنا بهذا العمل جانبا من تاريخ العربية ، ووجها من وجوه تطور طائفة من مفردات اللغة .

سأتناول فيما يأتي من هذا البحث شيئا مما وقفت عليه من مادة لغوية أحدثها ابو حيان التوحيدي ، واودعها كتابه (مثالب الوزيرين) ، وسأجعل هذه المادة في ثلاث فقرات ، اتناول في الاولى نماذج مما تصرّف فيه التوحيدي من جهة البنية ، واتناول في الثانية بعض ما تصرف فيه من الافعال من حيث التعدي واللزوم ، واعرض في الثالثة لجانب مما تصرف فيه من حيث الدلالة ، وسأرتب جميع ما اعرضه من مادة لغوية بحسب التسلسل الالفبائي .

(١) بعض ما تصرّف فيه التوحيدي من جهة البنية :

● انــف :

قال التوحيدي : « وان الحرّ الأنِف ... » ص ٢٩ .

لم تشتق العرب من الفعل (أنِفَ) بمعنى استنكف صفة على وزن (فَعِل) ، والذي ذكرته المعجمات ان (الأنِف) هو الجمل الذي يشتكي أنفه لما يوضع فيه من خزامة او بُرَة او خِشاش او خِطام ، وقد شُبّه به المؤمن في الحديث الشريف ، اذ جاء فيه :(المؤمن كالبعير الأنِف) بمعنى انه

(١١) مثالب الوزيرين : ٢٥

لا يحتاج الى حث او عتاب او زجر ، فما لزمه من حق صبر عليه وقام به ، كما يكون البعير الأنف منقادا لا يمتنع على احد .

لم يقصد التوحيدي هذا المعنى ، وانما اشتق صفة على وزن (فَعِل) من الفعل (أنِف) بمعنى (استنكف) ، وهي صيغة لم تذكرها كتب اللغة ، فالذي اثر عن العرب انهم اشتقوا وصفا من الفعل (أنِف) على وزن (فَعُول) ، اذ قالوا : (رجل أنوف) اي شديد الأنَفَة .

● بقي :

قال ابو حيان التوحيدي : « وما في الإعراض عن اعراض الناس من السلامة والفائدة ، وما في مباقاتهم ومقارنتهم[١٢] والتوقير لهم من الراحة والعائدة » ص ١ .

علق المحقق الفاضل على كلمة (مباقاتهم) بقوله : « لم تقف على هذا المصدر في المعاجم التي بين أيدينا ، ولعل أبا حيان يريد من (المباقاة) المُفاعَلَة من الابقاء على الصحبة » .

وقد اصاب المحقق فالتوحيدي اجتهد في اشتقاق هذا اللفظ ، او لعله مما وقف عليه فيما رواه عن الاقدمين ، ولم يقع لاصحاب المعجمات .

● بهو :

قال ابو حيان التوحيدي : « هذا مجلس يُبْتَهى بحضوره لشرفه ، ويُفتخر بالكلام فيه » . ص ١٣٨ .

اراد التوحيدي بـ (يُبْتَهى) : يُفْتَخر ، غير ان المعجمات القديمة لم تذكر هذا اللفظ ، وذكره المعجم الوسيط . وهو امر يشير الى ان صيغة (افتعل) لم ترد عن العرب من مادة (بهو) ، فربما قاسها ابو حيان ، او وقعت

(١٢) هكذا اوردها المحقق ، ولعلها : ومقاربتهم .

له فيما رواه عن القدماء ، اما اللفظ المعهود في مثل هذه العبارة فهو (يُتَبَاهَى) .

● ترح :

قال التوحيدي : « اغرُبْ ، عليك غضب الله الاترح ، الذي يلزم ولا يبرح » . ص ٨٦ .

جاء في المعجمات : التَرَح (محركة) : الهم وترِح (كفَرِح) : حَزِن وأترحه غيرُه وترَّحه : أحزنه .

لقد صاغ التوحيدي صيغة (أفعل) التفضيل من الفعل الرباعي (أترح) وكان الاولى بالتوحيدي ان يقول : (عليك غضب الله الاشد إتراحا) ، غير انه جرى على عادته في التصرف في اللغة ، للوفاء بما اخذ به نفسه من توشية نثره بالسجع والازدواج .

● جرف :

قال التوحيدي : « المال مصبوب ، والخازن قائم ، والمفرّق مُجْرِف » ص ٨٣ .

لم ترد كلمة (مُجْرِف) فيما بين يديّ من معجمات . جاء في اللسان : (جَرَفَ السيلُ الشيء واجترفه وجرّفه وتجرّفه : ذهب به كله ، وكسحه . وجاء فيه : رجل مُجَرَّف قد جَرَّفه الدهر ، اي اجتاح ماله وافقره . وبنان مِجْرَف كثير الاخذ من الطعام) .

يتضح مما تقدم ان المحقق لم يهم في ضبط كلمة (مُجْرِف) ، فان ابا حيان التوحيدي قد صاغ من هذه المادة فعلا رباعيا (أجْرَف) واشتق منه اسم فاعل (مُجْرِف) ، وهما مما لم تتكلم به العرب، ولم تروه المعجمات.

● جـزف :

قال التوحيدي : « فانك ان حرّفت في هذا بعض التحريف ، وجزّفت بعض التجزيف ، خرج معناك من ان يكون فخما نبيلا ، ولفظك من ان يكون حلوا مقبولا » • ص ١١ •

كلمة (جُزاف) معرّبة ، ومعناها الحدس في الشيء المبيع دون تقديره بوزن او كيل ، يقال : اخذته جُزافا ، او بعته جُزافا •

وقد اشتق العرب من هذه الكلمة فعلا فقالوا : (جازف في البيع او الشراء مُجازفة وجزافا) ، كما اشتقوا فعلين آخرين فقالوا : (اجتزف الشيء) و (تجزّف فيه) •

لقد احسن ابن منظور صاحب اللسان حين قال : الجُزاف والجِزاف : بيعك الشيء واشتراؤكه بلا وزن ولا كيل ، وهو يرجع الى المساهلة • فالذي يتتبع استعمال هذه المادة يجد انها انتقلت من مجال البيع والشراء الى المساهلة او المسامحة في كل شيء ، وهو ما لمحه اللسان في اصل الاستعمال • يقال : (جازف فلان في الامر) اي لم يأخذه بما يجب له من حذر ودقة وحسن تقدير • واما في لغتنا المعاصرة فقد انصرفت الى معنى (المغامرة) •

ان الفعل (جازف) هو الذي جرى عليه الاستعمال ، اما (اجتزف) و (تجزّف) فلم يحظيا بالشيوع • غير ان التوحيدي بما عُرف به من تصرف في اللغة اشتق فعلا آخر هو (جزّف) وقرنه بمصدره القياسي وهو (تجزيف) ، اذ لم تذكر كتب اللغة هذا الفعل ومصدره • ولعل ما اشرنا اليه من أن حرصه على تنميق نثره بالسجع والازدواج ، هو الذي حمله على هذا التوليد •

● خصص :

قال ابو حيان التوحيدي : « ومن خواص ما فيه حبه للعامة » ٠ص ١٣٦٠ جاء في كتب اللغة ان الخاص ضد العام ، والخاصة ضد العامة ٠ وجاء فيها : هذا خاصّتي وهم خاصّتي ٠

أما خاصّة التي تعني ما يختص به الشيء دون غيره ، والجمع خواص فلم تتردد في المعجمات القديمة ، ولكن الذي ورد في كلام الادباء المولدين كالجاحظ والتوحيدي كلمة (خاصّيّة) وكلمة (خواصّ) ، جاءت الاولى في رسالة التربيع والتدوير : « وما هذه الخاصيّة التي منعت من هذا المعنى »[١٣] ، وجاءت الثانية في كلام التوحيدي الذي اثبتناه انفا ٠

وكما لم ترد في المعجمات القديمة (الخاصيّة) و (الخاصّة) وجمعهما الخواصّ كذلك لم تردد فيها (الخصيصة) و (الخصائص) ، بل جاءت هاتان الكلمتان في مدونات المولدين ، وحسبك ان لابن جني كتابا جليلا في فلسفة اللغة يدعى (الخصائص)[١٤] ٠ وفي هذا ما يفيد ان المعجمات وقفت في مادتها عندما جمعه الرواة عما يسمى عصور الاحتجاج ٠

● خطب :

قال التوحيدي : « وأسعاهم بالفساد على الصغير والكبير ، وأخطبهم على الدين ، واضرّهم للمسلمين » ٠ ص ١٠٠ ٠

---

(١٣) لغويات (محمد علي النجار) : ١٠٣ وينظر مصدره . دار الكتاب العربي بمصر د.ت .
(١٤) نفسه : ١٠٣ .

علّق المحقق الفاضل على (أخطبهم) بقوله : « كذا في الاصل ولعلها من الخطب وهو الامر المكروه » • وربما اصاب المحقق ، فقد يكون التوحيدي اراد هذا المعنى • ولكن لابد من الاشارة الى ان الجاحظ قال في احدى رسائله : « ومن أمتن اسبابهم الى الشر ، واقدحها في العرض ، واحطبها على الدين » • وقد علق ابراهيم السامرائي على (احطبها) قائلا : « الحَطْب الجمع للجيد والرديء والمراد الافساد كما يوحي بها كلام الجاحظ ، غير اني لم اجد في معجمات العربية هذا المعنى من مادة (حطب) ، ولم اجد قريبا منها الا قولهم : حاطب ليل وهو الذي يتكلم بالغث والسمين ، مخلّط في كلامه وامره ، لا يتفق كلامه كالحاطب بالليل الذي يحطب كل رديء وجيد لانه لا يبصر ما يجمع في حبله »[١٥]•

والآن ، اي التعبيرين هو الصحيح ؟ اهو (أخطبهم على الدين) بالخاء الذي ورد في كلام التوحيدي ، ام هو (احطبهم على الدين) بالحاء المهملة الذي ورد في كلام الجاحظ ؟ النظر في المعجمات لا يسعف بالقطع ، ولكن الذي نميل اليه هو ان عبارة ابي حيان اقرب الى القبول ، فهي مأخوذة من (الخطب) وهو الامر المكروه ، وهي نفسها عبارة الجاحظ الا انها صحّفت بايدي النساخ ولم يفطن لها إبراهيم السامرائي ، اذ جاء تخريجه لها بعيدا ، واذا صح هذا فان صيغة (أفعل) التفضيل من (الخطب) مما اجتهد فيه الجاحظ واستحدثه ، وتابعه فيه التوحيدي ، لتأثره به ، وجريه في ريحه •

● خلق :

قال التوحيدي : « يناظر العامة هذا البقال وهذا الخباز وهذا الخلقاني وهذا الاسكاف » • ص ١٠١ •

---

(١٥) من معجم الجاحظ : ١٠٢ ، بغداد ١٩٨٢ •

تنطوي هذه العبارة على جملة من اسماء الحرف التي كانت معروفة في عصر التوحيدي ، وقبله ، وهي البقال والخباز والاسكاف والخلقاني • وهذه الاخيرة تعني بائع الثياب العتيقة ، وهي مأخوذة من خَلَق الثوبُ واخلق فهو خَلَق اذا بلي •

ان معظم اسماء المهن ليست من الفصيح الذي يضرب بجذوره في عربية العصور المتقدمة ، ولذا لم تشر اليها المعجمات •

● دخر :

قال التوحيدي : « ويعاونون ••• بالمال المدخور ، والنصح المنخول »• ص ٢٢ •

يقال : ذَخَر (كَمَنَع) المال يذخَره ذُخْرا : اختاره او اتخذه ، ومنه الذخيرة والذُخْر • اما (دَخَر) بالدال المهملة كمنع وفرح دُخورا ودَخرا فصَغُر وذلّ ، ومنه قوله تعالى : (سُجّدا لله وهم داخرون) النحل : ٤٨ •

ومن هذا يتضح امران : احدهما ان (مدخور) مصحّفة وصوابها (مذخور) ولكن المحقق الفاضل لم يفطن لذلك • والاخر ان (مدخور) صحيحة ، وان التوحيدي اخذها من (ادّخر) التي اصلها (اذتخر) • ولا استبعد ان يجتهد ابو حيان هذا الاجتهاد •

● ذوى :

قال ابو حيان التوحيدي : « ويعود ذويّ الدين ناضرا ، وخامل المروءة نبيها » • ص ٥٦ •

وقال : « حتى صار لذلك •• منّانا بالقليل ، معظّما للتافه النزر ، وذويّ الدين » • ص ٢٠٠ •

جاء في كتب اللغة : ذوى العود (كرمى ورضي) ذُوِيّا اي ذبل ومنه عود ذاو ، وعيدان ذاوية •

وواضح ان (ذَوِيّ) على وزن فعيل ، وهو مالم يرد من هذا الفعل ، ويبدو ان التوحيدي استحدثه ، على جاري عادته في التصرف في اللغة •

● سكع :

قال التوحيدي : « رَدَّعه وحاجّه ، وراجعه وضايقه وساكعه » •ص٧٩•

جاء في كتب اللغة : سَكَعَ الرجلُ يسكَع سَكْعا وتسكّع : مشى متعسفا ، لا يدري اين يتجه ، ورجل سُكَع متحيرّ وهو ضد (الخُتَع) اي الماهر بالدلالة • ومنه قولهم : (فلان في مَسْكَعة) اي في مُضلّة ، لا يهتدي فيها الى وجه •

وعلى عادة التوحيدي في التصرف في المفردات فقد استحدث بناء (فاعَلَ) من (سَكع) فقال : (وساكعه) اي جاراه في السَكْع ، اي اعتساف النقاش، والاخذ فيه على غير هدى ولا بصيرة •

● سيل :

قال التوحيدي : « يُنشد هذا وهو يتطاير ويفتل يده.ويتسيّل ويصفّق » • ص ١١٦ •

وقال : « وهل رأينا ثم إلا الرقاعة والتدفق والجنون والهذيان والتسايل والتمايل » • ص ١٤٦ •

اريد ان اقف عند (يتسيّل) و (التسّايُل) فعلى الرغم من ان الفعل (سال) لم يرد منه (تفعّل) و (تفاعل) ان اسناده الى الانسان غير معهود ،

ولكن ابا حيان اديب لغوي ، فأما ادبه فيملي عليه استعمال المفردات بعلاقات جديدة ، واما علمه باللغة فيتيح له ان يجتهد فيها ، ويستنبط من الصيغ والمفردات ما يحجم عنه غيره •

● عير :

قال التوحيدي : « فيعطي من كان اخف روحا عنده ، واحلى شمائل ، وألطف فضلا ، واعير قولا » • ص ٦٤ •

جاء في كتب اللغة : عار الفرَس اذا ذهب على وجهه وتباعد من صاحبه ، وعارت القصيدة سارت ، وقد اراد التوحيدي بقوله : (أعير قولا) : أسْير قولا ، ولعل اشتقاق صيغة (أفعل) التفضيل من (عار) مما قاسه ابو حيان •

● فشر :

قال التوحيدي : « والسبّ المؤلم ، والكلام الفاشر » • ص ٢٨ •

الفُشار : الهذيان ، وهو كلام العامة ، ولذا اهملته اكثر المعجمات • ويبدو ان التوحيدي اشتق منه فعلا هو (فَشَرَ) وجاء منه باسم فاعل هو (فاشر) •

● فضغ :

قال التوحيدي : « ويطوّقون بكل خزي ومَعَرّة ، ويواجهون بكل شنعاء مُفْضِغَة » • ص ٢٣ •

جاء في كتب اللغة : فَضَغ العود هشمه ، ورجل مِفْضَغ (كمنبر) : يتشدق ويلحق كأنه بفضغ الكلام • فالفعل اذن ثلاثي واسم الفاعل منه (فاضغ) و (فاضغة) • وأما (مُفْضِغ) و (مُفْضِغَة) فيقتضي ان الفعل

رباعي على زنة (أفْعَل) وهو مالم يرد في المعجمات . وقد شرح محقق مثالب الوزيرين (مُفْضِغَة) بقوله : « من فَضَعَ العود كمنع : هشمه » . وهذا وهم اذ لا يأتي (مُفْعِل) من (فَعَل) .

● نكـل :

قال التوحيدي :« أفيل الناس رأيا اذا ارتأى ، وانكلهم عن الخصم اذا تراءى » . ص ١٠٠ .

اراد التوحيدي بقوله : (أنكلهم) انكصهم واجبنهم ، فقد جاء في كتب اللغة : نكل مثل (دخل) عن الخصم واليمين نُكولا : نكص وجبن ، ونكل فلانا عن حاجته : دفعه . والنكال العبرة ، يقال : نكّل بفلان : عاقبه عقوبة اذا رآها غيره خاف ان يعمل عمله . ولم تذكر كتب اللغة اسم التفضيل من (نكل) بمعنى (نكص) ولاشك في ان التوحيدي قاسه ، ان لم يكن قد وقع له في مروياته .

(٢) بعض ما تصرف فيه التوحيدي من الافعال من حيث التعدي واللزوم :

● حـذر :

قال التوحيدي : « ومتى كان ذكر المهتوك حراما ، وتحذير الناس من الفاحش المتفحش جهلا » . ص ٤٩ .

من المفيد ان نلاحظ هنا ان بعض النقاد اللغويين المعاصرين يخطئون من يعدي الفعل (حذر) مجردا او مزيدا بحرف الجر (من) اعتمادا على ان هذا الفعل بماضيه ومضارعه وامره جاء في القرآن الكريم تسع مرات متعديا بنفسه ، من ذلك قوله تعالى : (ويحذّركم الله نفسه) آل عمران : ٢٨ ، واعتمادا على ما جاء في الصحاح والاساس واللسان والتاج ، ولكن العدناني

اجاز تعدية (حذر) بحرف الجر (من) اعتمادا على المعجمات الحديثة كمحيط المحيط ومتن اللغة والمعجم الوسيط[١٦].

ومن المناسب ان يكون هذا النص لابي حيان شاهدا على إغفال المعجمات القديمة تعدية الفعل (حذر) بـ (من) ، ومعززا ما ذهب اليه العدناني .

● رفـل :

قال التوحيدي : «وسحبت ذيلك عليه ، ورفلتَ اعطافَك فيه» .ص١٢.

جاء في كتب اللغة : رَفَل (كنصر وفرح) رَفْلا ورَفَلا جرّ ذيلـه وتبختر . ورفل في ثيابه يرفل : اذا أطالها وجرّها متبخترا وأرْفَل ثوبـه : ارخاه وارسله .

يتضح مما تقدم ان (رفل) لازم ، وان تعديته تكون بالهمزة ، امـا التوحيدي فقد استعمل (رفل) المجرد متعديا ، وهو ما لم تذكره المعجمات . ولعل ابا حيان ضمّنه معنى الفعل (سحب) .واما (الاعطاف) فواحدهـا (عِطْف) و (عِطْف كل شيء جانبه) ومنه (عِطْف الثوب واعطافـه : جوانبه) .

فعبارة التوحيدي اذن تكون ادق لو قال : (وأرْفَلْت اعطاف ثوبـك فيه) ، فهل لنا ان نستدرك على امير البيان في عصره ؟ واما ترك (الاعطـاف) مضافة الى ضمير المخاطب فتوهم ان ابا حيان اراد (عِطْف) الانسان وهـو من لدن رأسه الى وَرِكه ، يقال : ثنى عِطْفه : اعرض ، ومر ينظر في عِطْفه: مر معجبا بنفسه . واذا كان الامر كذلك فللانسان (عِطْفان) لا (اعطاف) ثم ان المعنى لا يستقيم به .

---

(١٦) معجم الاخطاء الشائعة (محمد العدناني) : ٦٣ ، ط٢ ، ١٩٨٠ .

● سحل :

قال التوحيدي : « ليُسْخِن الله به عين السائل ، ويسخّم وجهه ، ويُسْحِل عينه » . ص ١٧٤ .

تنصرف مادة (سَحَل) الى معان كثيرة منها (سَحَل الخشبَ) قشره والحديدَ برده . ومنه (المِسْحَل) وهو المبرد ، ويطلق على اللسان الخطيب والبليغ . و (السُحالة) ما يسقط من الخشب والحديد والذهب والفضة وقشر البر والشعير . ومن هذا (الساحل) وكان القياس ان يسمى (المسحول) لان الماء يسحله اي يقشطه . وقد وردت كلمة (الساحل) في القرآن الكريم (فلْيُلقه اليَمُّ بالساحل) . طه : ٣٩ .

و (سَحَل) كمنع وضرب سَحيلا وسُحالا : نهق ، ولذلك سمي الحمار (مِسْحَلا) . و (سَحَلَت العينُ سَحْلا و سُحولا : بكت) . وقد استعمل التوحيدي (سحل) في النص المتقدم بمعنى (بكى) ولكنه اورده متعديا ، وهو ما لم تذكره كتب اللغة ، فكان هذا من قبيل ما عُرف به من التصرف في الصيغ والمفردات ، مستفيدا في ذلك هنا من ظاهرة (القياس) فتعدية اللازم بالهمزة مما كثر في العربية ، حتى اقر مجمع القاهرة قياسيته .

● عبأ :

قال التوحيدي : « فان لم تعبأ بما تسمع مني ، فاعبأ لمن لعله عندك أشفّ مني » . ص ١٠٦ .

يمنع بعض النقاد اللغويين قولهم : (ما اعبأ له) اي ما أحْفِل ، ويرى ان الصواب (ما اعبأ به) اعتمادا على قوله تعالى : (قل ما يعبأ بكم ربي) الفرقان : ٧٧ واستنادا الى ما جاء في كتب اللغة(١٧).

---

(١٧) الكتابة الصحيحة (زهدي جار الله) : ٢٢٥ ، ط٣ ، ١٩٨١ .

واما التوحيدي في عبارته المتقدمة فقد عدّى الفعل (عبأ) بالباء مرة وباللام مرة ، فهل نستطيع ان نعد هذا شاهدا على جواز الوجهين ؟

● علـق :

قال التوحيدي : « ولم يترك قبيحة إلا أعْلقَها محمدا ، ولا حسنة إلا منحها أحمد » • ص ٣٧ •

جاء في كتب اللغة : عَلِقَه (كفرح) وبه عُلوقا وعِلْقا بالكسر وعَلَقا بالتحريك • ويقال : اعلق الصائدُ : علق الصيدُ بحِبالته • وأعلق فلان : صادف عِلْقا من المال ، وأعْلَق ظُفْرَه بالشيء : انشبه فيه ، واعلق الشيء بالشيء علقه به ، وأعَلْقَ السيف : جعل له عِلاقة •

يتضح مما تقدم ان (أعلق) يستعمل لازما بالمعاني المشار اليها ، ويستعمل متعديا للمفعول الاول تعدية مباشرة وللثاني بالباء • غير ان التوحيدي استعمله متعديا لمفعوليه تعدية مباشرة ، وهو من قبيل ما عرفنا عنه فيما مضى من تصرف في اللغة • ولو جرى على ما ذكرته المعجمات لقال : (لم يترك قبيحة إلا أعْلَقَها بمحمد) •

● مـين :

قال التوحيدي : « فانك ان عولت على ذلك خانك وشانك ، وفضح حالك ومانك » • ص ٧٣ •

استعمل التوحيدي الفعل (مان) بمعنى (كذب) متعديا قائسا إياه على (كذب) ، اما المعجمات فلم توردْه متعديا ، ففيها : مان يمين مينا : كذب فهو مائن ومَيُون ومَيّان ، وتمايَنَ القومُ : تكاذبوا •

(٣) بعض ما تصرّف فيه التوحيدي من حيث الدلالة :

● بلـق :

قال التوحيدي : « وكان اذا سمع منه كلاما يسجع فيه ، وخبرا ينمقه ويرويه ، يبلق عينيه ، وينشر مَنْخِرِيه » • ص ١٣٣ •

جاء في كتب اللغة : بَلَقَ الباب : فتحه كله • ومعنى ذلك ان الفعل يعني فيما يعني (الفتح) ، ويستعمل للابواب دون غيرها • ولكن التوحيدي عبرّ به عن فتح العينين ، ولعله متأثر في هذا باستعمال العامة في عصره• ولا يزال العامة في العراق يقولون : (بلق عينيه) ، وربما قالوا : (بحلق) • اما استعماله مع (الباب) فيبدو انه مما اميت في لغتنا المعاصرة • وتجدر الاشارة الى ان فيه لغة اخرى هي (أبلق) •

● خبـل :

قال التوحيدي :« لعن الله الفقر فهو الذي يخبل المروءة ، ويقدحُ في الديانة » • ص ٧٥ •

اراد التوحيدي بـ (يخبل المروءة) : يُفسدها • والذي يرجع الى مادة (خبل) في المعجمات يجد انها تعني فساد الاعضاء • فقد جاء في المقاييس : ان الخاء والباء واللام اصلٌ واحدٌ يدلّ على فساد الاعضاء • فـ (الخَبَل) : الجنون ، وهو فساد العقل ، و (خَبِلَت يدُه) اذا قُطعت أو شَلّت ، قال الشاعر :

أبني لُبَيْنَ لَسْتُم بيدٍ إلاّ يداً مخبولة العضد

أي مُفْسدة العضد ، وقد صرح ابن سيدة بأن (الخَبْل) هو فساد الاعضاء•

ويبدو ان أبا حيان قد تصرف في استعمال هذه المادة ، اذ نقلها من التعبير عن فساد المحسوسات من اعضاء الانسان الى فساد المعقولات ، اذ عبر بها عن فساد المروءة ، وهذا ما يُعرف بعلم اللغة الحديث بتعميم الدلالة •

ومن عجب ان الزمخشري لم يشر في اساس البلاغة الى هذا الاستعمال الجديد للفعل (خبل) ، واكتفى بدلالته على فساد الاعضاء ، على الرغم من عنايته بالمجاز .

● صلف :

قال التوحيدي : « انظروا الى نبهه وصلفه ، ومدحه لنفسه ، واستبداده برأيه » . ص ١٦٦ .

لقد شهد الفعل (صَلِف) وما يشتق منه من وصف ، تطورا دلاليا ، فحين قال ابو تمام يصف فرسا :

ما مقرب يختال في أشطانه   ملآن من صَلَف به وتَلَهْوق

خطّأه الآمدي لانه استعمل (الصلف) بغير المسموع من معناها ، قال الآمدي : « قوله : (ملآن من صلف به) يريد التيه والتكبر ، وهذا مذهب العامة في هذه اللفظة ، فأما العرب فانها لا تستعملها لهذا المعنى ، وانما تقول : قد صَلِفَت المرأة عند زوجها اذا لم تحظ عنده ، وصَلِف الرجل كذلك اذا كانت زوجته تكرهه والصَّلِف الذي لا خير عنده»[١٨] .

ويبدو ان التوحيدي استعمل (الصَلَف) بمعنى التكبر والتيه والعجرفة، أي بالمعنى الذي انتهت اليه في عصر ابي تمام . وكان الجاحظ استعملها بهذا المعنى ايضا فقال : (ابتاع فتى صَلِف" بذ"اخ جارية)[١٩] . ولايزال (الصَلَف) في العربية المعاصرة تستعمل بالمعنى الذي استعمله فيه ابو تمام والجاحظ والتوحيدي .

---

(١٨) الموازنة (الآمدي) : ٢٣٤/١ تح : السيد صقر ، دار المعارف بمصر .
(١٩) من معجم الجاحظ (ابراهيم السامرائي) : ٢٤٧ بغداد ١٩٨٢ .

● ضيف :

قال التوحيدي : « فلو أكملت فضائلك بأن تضيف اليها معرفة البرهان القياسي » •ص ١٥٧ •

ينصرف معنى الفعل (أضاف) في كتب اللغة الى معنى (الإسناد) او (النسبة) و (الميل) ، يقال : اضاف اليه امورا اذا اسندها اليه ، وما هو إلا مُضاف اي دَعيّ منسوب الى من ليس منهم • ويقال : ضافت الشمسُ تَضيف : مالت ، وكذلك تضَيّفَت اذا مالت للغروب ، وفي الحديث (انه نهي عن الصلاة اذا تضيّفت الشمس للغروب) وضاف السهمُ عن الهدف يَضيف •

يتضح من ذلك انه ليس من معاني هذا الفعل (زاد) وهو المعنى الذي انصرف اليه في لغتنا المعاصرة • ولذا وجدنا مصطفى جواد يخطّيء من يستعمله بهذا المعنى . ويرى ان فصحاء الامة استعملوه بمعنى النسبة[٢٠]• ومما اوزده من الاقوال شاهدا على ذلك قول ابي حيان التوحيدي : « وهذه كلها غليظة بالاضافة الينا وفوق الدقيقة بالاضافة الى اعيانها »[٢١] • وقوله : « والطبيعة وان كانت ضعيفة بالاضافة الى العقل ، منحطة الرتبة ، فانهما قوية فينا »[٢٢]•

غير أن أبا حيان التوحيدي نفسه استعمل (أضاف) في نصه الذي اثبتناه آنفا بمعنى (زاد) ، فمعنى قوله (تضيف اليها) : تزيد عليها • أفلا يدل هذا على ان دلالة هذا الفعل على الزيادة نشأت قبل عصرنا ؟ ثم ألا يكفي استعمال ابي حيان لتصحيح ما خطأه مصطفى جواد ؟

---

(٢٠) قل ولا تقل (مصطفى جواد) : ١٠٤ ، ط١ ، ١٩٨٨ .

(٢١) نفسه . وينظر مصدره .

(٢٢) نفسه : ١٠٤ ، ١٠٥ وينظر مصدره .

● عيف :

قال ابو حيان عن الفقر : « وان الحر الأنِف ، والكريم المتعيّف ، من مقاساته ، والتجلد عليه لفي شغل شاغل » • ص ٢٦ •

ينصرف الفعل (عاف) الى الكراهة ، يقال : عاف الطعام والشراب يعافه عَيْفا وعيافا واعتافه اذا كرهه • ومن هذا عِيافه الطير وهو زجرها لمعرفة مساقطها ، فيسعد العائف بذلك او يتشاءم • وقد قيل للذي يتكهّن بالطير : عائف ومتعيّف •

وواضح ان التوحيدي لم يرد بـ (المتعيّف) المتكهّن بالطير ، او المتشائم ، وانما اراد (الكاره) ، ذلك انه كان يتحدث في عبارته المتقدمة عن الفقير الحر الكريم الذي يأنف مما في ايدي الاغنياء ، ويعاف سؤالهم ، مؤثرا مقاساة الفقر ، والتجلد عليه • ولابد من الاشارة الى ان كتب اللغة لم تذكر (تَعَيَّف) و (متعيّف) من (عاف) بمعنى (كره) وانما جاء فيهما ان (تعيّف) : تكهّن بالطير ، والفاعل منه (متعيّف) ، واذا كان الامر كذلك فان ابا حيان قد استعمل هذه الكلمة بدلالة الكره ، وهو مما ولّده هذا الناثر الكبير •

● قرّح :

قال التوحيدي : « واني لاظن ان عقل كل احد كان ممزوجا ، وكان عقله قَراحا » • ص ٢٥٧ •

المعروف ان (القَراح) هو الماء غير الممزوج بشيء من سويق ونحوه • أما التوحيدي فقد استعمله هنا بعلاقة جديدة فجعله صفة للعقل الخالص • واستعماله هذا طريق يدل على تصرفه في دلالة المفردة ، وخروجه بها عما ألفت من سياق •

● لهـج :

قال التوحيدي : « وليس إلا الصبر فانه مفتاح كل باب مُرْتَج ، وبرود كل حرّان مُلْهَج » • ص ٢٥ •

اراد التوحيدي بـ (مُلْهَج) : ممنوع من الشرب • ان الاصل في استعمال (مُلْهَخ) للفصيل ، اذ يقال : لَهجَ الفصيلُ بامه اذا اعتاد رضاعها فهو لاهج ويقال : ألْهَج الراعي او صاحب الابل الفصيل : اذا جعل في ضرع امه خلالا لئلا يصل الى الرضاع ، فالفصيل مُلْهَج ، والهمزة فيه لاعدام الشيء او سلبه ، اي لمنع لَهَجه بالرضاع •

لقد نقل التوحيدي (مُلْهَج) من مجال استعمالها ، فوصف بها كل عطشان ممنوع من الشرب ، مُحَلاّ عنه فصيلا كان او غيره • وهذا تصرّف في اللغة ، عوّدنا إياه ابو حيان ، ووقفنا على امثلة كثيرة منه فيما تقدم ، بعضها يتصل ببنية المفردة ، وبعضها يتصل بدلالتها •

الفهرس

المحتوى	الصفحة
مقدمة	5
نحو معجم حديث - د. أحمد مطلوب	179
المعجم العربي مادته ومناهجه - أ. د. محمد ضاري حمادي	195
سمات المعجمات اللغوية العربية وخصائصها المنهجية - أ. د. رشيد عبد الرحمن العبيدي	210
معجم العلايلي منهجه ومادته - د. عبد الله الجبوري	227
المعجم العربي القديم والمدونات الأدبية مثالب الوزيرين نموذجاً - أ. د. نعمة رحيم العزاوي	240

تنويه: هذا الفهرس ليس من أصل الكتاب ؛ وإنما أعددته تسهيلاً للوصول الى المواضيع .
م. سرمد حاتم شكر السامرائي





مجلة فصلية انشئت سنة ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م - الجزء الرابع - المجلد السابع والاربعون

١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م



مجلة المجمع العلمي

الجزء الرابع ـ المجلد السابع والاربعون

بغـداد

١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠ م

